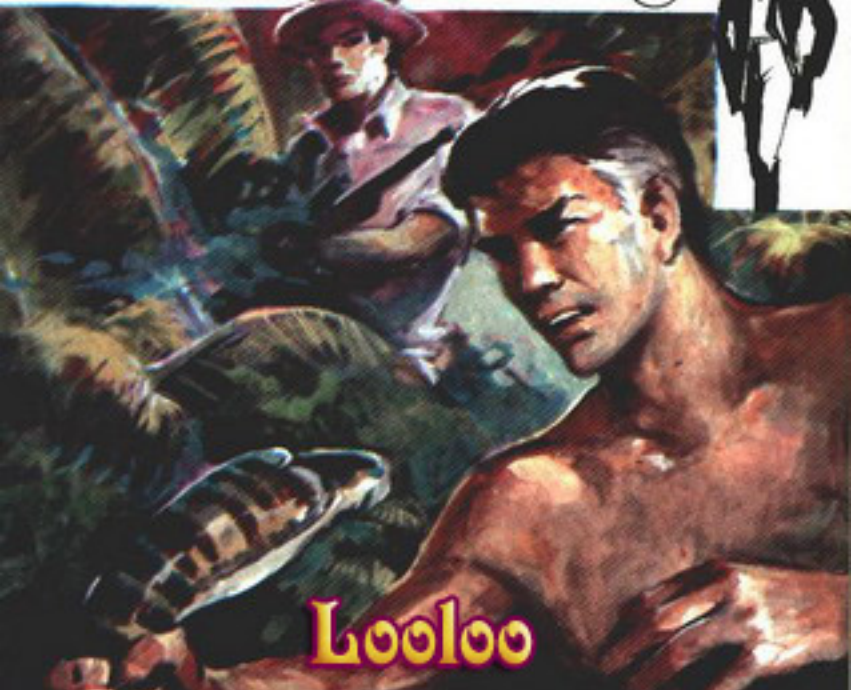


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



جزيرة الجحيم



www.helmelarab.net

١ - بعيداً ..

« هل استسلمت للنوم ؟ .. »

نظقت (منى توفيق) هذه العبارة فيما يشبه الهمس ،
وتدقق معها نهر من حنانها ورقتها ودفتها ، وهي تتطلع إلى وجه
(أدهم صبرى) ، الذى استرخى بجسده فى ذلك المقعد
الوثير ، فى حجرة مكتبها ، أمام النافذة ، وقد أسبل جفنيه ،
ولاذ بالصمت التام ، وتمتت لحظتها لو أنها احتضنت رأسه
بكفها ، وأراحتها على صدرها ، تمنحه المزيد من حنانها
ودفتها ، بعد كل ما لاقى من أهوال ، طوال عام وربع العام ..
والواقع أن تلك العاطفة الجياشة فى أعماقها ، كانت قادرة
على تحويل تلك الأمنية إلى حقيقة واقعة ، لولا أن انفرج جفنا
(أدهم) فى بطاء ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة رقيقة ، وهو
يجيب :

— لا .. ليس بعد .

منحته ابتسامة تحوى كل حنانها وحبها ، وهي تناوله قحح
القهوة ، قائلة :

— لقد أحضرت القهوة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

ابنهم وهو يلتقط القدح من بين أصابعها ، متمنئاً :
— شكرًا .

تأملنه لحظات في صمت ، ثم حملت قدحها ، وانجهت إلى
مقعد آخر ، في الركن المقابل للحجرة ، وارتشفت رشفة
صغيرة من القهوة ، ثم تطلعت عبر النافذة ، وقالت في حذر ،
وكأنها تخشى كسر ذلك الهدوء ، الذي يسود الحجرة منذ
دقائق :

— يبدو أن الطقس في سبيله إلى التحسن .

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال بدوره :

— هذا صحيح .. لقد توقّف انهمار الأمطار ، وأظن

السحب تنقشع ، فضوء القمر يتسلل عبرها ..

قمتت :

— أجل .

عاد الصمت يغلف الحجرة تمامًا ، و (أدهم) يرتشف
رشفات القهوة في ببطء ، و (منى) تملأ عينيها بوجهه ، وكأنها
ما زالت تخشى أن يكون وجوده أمامها مجرد حلم ،
لم يفارق خيالها قط ، منذ فقدته في صحراء (المكسيك)^(*) ..

(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) .. المغامرة رقم (٨٠) .

وفي شرود ، تركت ذاكرتها تتطلق بعيدًا ..
إلى حيث بدأ كل شيء ..

بل المصطلح الأدق هو : حيث انتهى كل شيء ..

عندما انفجر وكر (بانشو سيلازر) في الصحراء
المكسيكية ، و (أدهم داخله) ..

أيامها اعتبر الجميع أن (أدهم صبرى) قد لقي حتفه
رسميًا ، واندفعت جثته تحت أنقاض وركام الوكر المتهدم ، الذي
السحق على رؤوس من فيه سحقًا ..

ولكن الحقيقة كانت تخالف هذا ..

لقد نجح (أدهم) ..

نجح من انفجار الوكر في أعجوبة ..

بل بمعجزة ..

ولكنه فقد الذاكرة ..

فقدناها تمامًا ، وكأنما هو كائن جديد ، هبط إلى الأرض في
عالم لم يعد له وجود ..

وفي قلب الصحراء المكسيكية ، عثر عليه الممرض
المكسيكي الكهل (برونكو فيلا) ، وابنته (ماريانا) ،
وعالجهما من جراحه في منزلهما في (كيواوا) ، وعاش معهما
أربعة شهور كاملة ، وهو يحمل اسم (أميجو) ، بعد أن فقدت
ذاكرته كل ما يتعلق بحياته الأولى ..

ولكن القدر لم يكن لترك رجل المستحيل هكذا ..

بلا صراع ..

لقد اشتعل الأمر فجأة ، على يد أمريكي يُدعى (توماس موران) ، يتبع منظمة (سكوريون) ، ويسعى لشراء (كيواوا) كلها ، ومنها مزرعة (برونكو) ..

وكان الصدام ..

وكانت معركة رهية ، بين (أدهم) ، الذي تقوده غريزته فقط ، وكل جيش (توماس) ..

وانتهى الأمر بمصرع (توماس) في هذه الجولة ، ولكن منصبه الشاغر لم يلبث أن امتلأ برجل رهيب ، يطلق عليه الجميع اسم (الأعطوط) ..

رجل يُدعى (كال) ..

وأعلنها (كال) حرباً ضروساً على (أدهم) ، وسعى لتحطيمه ونسفه ..

ثم ظهرت (سونيا جراهام) على مسرح الأحداث ..

ظهرت تحمل اسم (نورما كرينهال) ، وجنسية مليونيرة ألمانية ، جاءت من موطنها استجابة شاذة هائفة ، من أحد طياري (كال) ، وسعت لتقتل (أدهم) ..

ولكنها لم تجد هذا الأخير ..

لقد وجدت أمامها رجلاً جديداً ، فاقد الذاكرة ، محاطاً بالأعداء من كل جانب ..

وهنا برزت مشاعر (سونيا) الحقيقية ، وأزاحت قناع البض عن وجهها ، ليرز من خلفه حبها ..

حبها للرجل الذي تتقاتل معه منذ سنوات وسنوات ..

حبها لـ (أدهم صبرى) ..

وفجأة ، انتقلت (سونيا جراهام) ، في حياة (أدهم) ،

من خانة العدو إلى خانة الصديق ..

بل خانة الحبيبة العاشقة ..

ولأول مرة في عمرها ، تفجّر نبع الأنوثة في أعماق (سونيا جراهام) ..

(سونيا) العاشقة ..

وقالت (سونيا) من أجل (أدهم) ..

تفاوضت مع (كال) ، وسأومت (جوزيه) ، ورشت

العشرات والعشرات ..

ونجا (أدهم) ..

بل صار زوجها لـ (سونيا) ، وقد نجحت تلك الأفعى

الناعمة ، في إقناع ذاكرته المربكة أنها هي الفتاة التي أحبها طيلة

عمره ..

ولكن الأمر لم ينته عند هذه النقطة ..

لقد واصل رجال (سكوريون) تحرياتهم ، لكشف أمر

(أميجو) الغامض ، ونبش ماضيه المجهول ..

وبرزت الحقيقة ..

عرف زعيم (سكوربيون) حقيقة (أدهم) وأرسل رجاله لاقصاصه ..

ووقع (أدهم) في قبضة (سكوربيون) ، حيث نقله رجالها إلى جزيرتهم (تيروز) ، ليثقل أمام زعيمهم (هنتر) .. وجن جنون (سونيا) ..

لم يكن مبعث جنونها هو القصاص (أدهم) فحسب ، وإنما خوفها من استعادته ذاكرته ، وتخليه عنها ..

وانطلقت (سونيا) تدافع عن أنوثتها وزوجها ، ولم تذخر وسقا في بلوغ (تيروز) ، فالتحمت وكر (كال) ، وقتلت هذا الأخير بلا رحمة ، ثم سرقت طائرته ، وانطلقت بها إلى (تيروز) ، وراحت تسفك الدماء في طريقها بلا هوادة أو تردد ، وكأنها استعادت طبيعتها الشرسة المقاتلة ..

ولى نفس الوقت ، كان (هنتر) يواجه (أدهم) بحقيقة الموقف ..

لقد قرّر (هنتر) أن يجعل من (أدهم) فريسته وطريدته الجديدة ، فأطلقه في قلب أحراش (تيروز) بسلا سلاح ، وأمهله ساعة كاملة ، قبل أن يطلق خلفه ، برجاله وكلاب

الصيد والبنادق والمدافع الرشاشة ..

واخترق (أدهم) أحراش (تيروز) الغامضة .. وبدأت أغرب عملية صيد في التاريخ .. صيد البشر .. (*)

* * *

« إلى أين ذهبت ؟ .. »

انفض جسد (منى) ، عندما انزعها صوت (أدهم) من أفكارها ، وارتجف قدح القهوة بين أصابعها ، فالتقطت نفسها عميقا ، وابتمت في ارتباك ، وهي تغمغم في حياء .. — كنت أستعيد ذكري ما أخبرني به .

ابسم قائلًا :

— هل أصبح مأزوقي مجرد ذكرى بهذه السرعة ؟ .. ضحكك في خجل ، وقالت :

— كنت أسحك لخرة من الصمت والتفكير ، قبل أن نعاود حديثنا ، وتروى لي ماذا حدث في (تيروز) .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى ، (الرجل الآخر) ، (الأعطيلوط) ، (معركة القمة) ، المغامرات رقم (٨٩) (٨٢) (٨٣) .

بدت ابتسامته شاردة ، وعيناه تراقبان شروق الشمس .
 عبر زجاج النافذة ، قبل أن يقول في خفوت :
 — كانت تجربة طريفة .
 ثم اعتدل ، ووضع قدح القهوة الفارغ على منضدة
 قريبة ، واستعاد حيويته كلها دفعة واحدة كمعادته ، وقال :
 — كان (هتر) هذا سادياً دموياً ، يعشق القتل وإراقة
 الدماء ، وابتسم في سخرية ، وهو يضيف :
 — ثم أنه لم يكن شريفاً في قتاله .
 سألته في اهتمام .
 — ماذا تعني ؟
 استرخى في مقعده ، قائلاً :
 — سأخبرك .
 وعاد يروي قصته ..

لم يرفع (هتر) نظاره المقرب عن عينيه ، طوال ربع ساعة
 كاملة ، لم ينبس خلالها ببنت شفة ، أو تبدر منه حركة واحدة ،
 حتى لقد بدا أشبه بتمثال من الشمع ، انتصب فوق تلك
 الربوة في قمة (تيروز) ، رمزاً للعنف والرعب ، الكامنين في
 اسمها ..

وأخيراً خفض زعيم (سكوريون) نظاره ، وابتسم في
 جذل شرس ، وهو يقول :
 — رائع .. هذا المصري محترف بحق .. لقد انطلق بلا تردد
 في اتجاه الأحرش ، وانتقى منطقة كثيفة الأغصان ، تثبت فيها
 نباتات نفاذة الرائحة ، حتى يمكنه إرباك مطارديه ، وإفساد
 حاسة الشم لدى كلاب الصيد ، اختار انطلاقته في مواجهة
 الشمس ، حتى تكون الشمس في عيوننا دائماً ، ونحن
 نظارده ..
 اتسعت ابتسامته أكثر ، وهو يبرز رأسه ، ويستطرد في
 نشوة :
 — ستكون عملية صيد ممتعة هذه المرة .
 ابتسم أحد رجاله خلفه في سخرية ، وقال وهو يداعب
 مدفعه الآلي :
 — هل سنعلق رأسه اغتط ، بين رعوس الثور ، في قاعة
 الصوائد ؟
 وعلى عكس ماتوقع الرجل ، لم ترق الدعابة لـ (هتر) ،
 الذي عقد حاجبيه ، وقال في صرامة :
 — هذا لو أوقعناه أولاً .
 أدهشت العبارة رجاله جميعاً ، فغمغم أحدهم في تردد :
 — سنفعل حتماً ، فلن يمكنه البقاء وسط الأحرش إلى الأبد ،

وليس بوسعه مفادرة الجزيرة، و ..

فأطعمه (هتتر) في حسم :

— أصبحت .

ثم عاد يضع منظاره المقرَّب على عينيه ، ويتطلَّع إلى حيث اختفى
(أدهم) ، وقال :

— لقد اختفى تمامًا .

وفي هذه المرة ، عندما خفض المنظار عن عينيه ، كانت العينان
تألقان ببريق وحشي ، يشبه كثيرًا بريق عيني ثمر مفترس ، اشتمَّ
رائحة دماء طازجة ، وكان صوته أشبه بفحيح ثعبان سام ، يستعد
لمقابلة (كوبرا) متوحشة ، وهو يقول :

— مع خصم كهذا يكون من الحماقة أن يلتزم المرء بالقواعد .

ورفع يده إلى رجاله ، مستطرِّدًا في حزم :

— هيا .. انطلقوا خلفه .

وارتسمت ابتسامة الأنعام على وجوه الرجال ..

كانوا يعلمون أن المهلة التي منحها زعيمهم لـ (أدهم) لم تبلغ

متصفها بعد ، ولكن هذا لم يكن يعينهم ..

لقد بدأت المطاردة ..

وبدأت متعتهم ..

* * *

٢ — الأحراش ..

استرخى أحد رجال (سكوربيون) في واحد من أبراج
الحراسة ، المنتشرة بطول شاطئ الجزيرة ، وراح ينفث دخان
سيجارته في تكاسل ، وهو يقول لرفيقه ضخم الجثة ، الذي
جلس على حافة سور البرج ، ينظف مدفعه الآلي :

— عجبا .. لقد برز قرص الشمس كله في الأفق ، دون أن

نسمع دوى رصاصة واحدة !

سأله الضخم في لامبالاة :

— ولماذا تدوى الرصاصة ؟

ابتسم الأؤول ، وقال في تراخ :

— ألم تبلغك الأخبار ؟ .. إن مستر (هتتر) يمارس لعبته منذ

الفجر ، مع ذلك الأسير ، الذي أحضره أمس .

غمغم الضخم في لهجة هادئة ، توحى بأن الأمر ليس

بالجديد :

— آه .. ذلك الوسيم المقتول العضلات .

ثم وضع مدفعه الرشاش إلى جواره ، والتفت إلى زميله ،

يسأله في شيء من الاهتمام :

— قل لي : كم استغرق الأسير السابق ، قبل الإيقاع به ؟
 عقد الأول حاجبيه ، وكأنما يتحضر ذاكرته ، ثم أجاب :
 — أظن أن مستر (هنتر) قد أطلق النار على رأسه
 — حينذاك — بعد ثلاث ساعات من المطاردة .
 رفع الضخم حاجبيه ، وقال :
 — يا للشيطان !.. لقد استغرق وقتاً طويلاً .. لاريب أنه
 كان بارعاً ، في هذا المضمار .
 نفث الأول دخان سيجارته مرة أخرى ، وقال :
 — يقول الزملاء في القلعة إن هذا الأسير واحد من أقوى
 رجال المخابرات في العالم ، وإن ..
 قاطعه الضخم في ازدراء :
 — مهما كان شأنه ، سيصطاده مستر (هنتر) ، قبل
 غروب الشمس .
 ابتسم الأول في سخرية ، وقال :
 — هل تراهن ؟
 أجابه الضخم في تحد :
 — نعم .. أراهنك بمائتي دولار إن ..
 قاطعه الأول فجأة ، وهو يعتدل بمقعده ، ويشير إلى نقطة
 ما على الشاطئ :

— ماهذا ؟
 التقط الضخم مدفعه الآلى في سرعة ، شأن أى محترف ،
 وهو يستدير إلى حيث يشير زميله ، هاتفاً :
 — ماذا هناك ؟
 اختطف الأول منظاره المقرب ، ووضعه فوق عينيه ، وهو
 يجيب :
 — هناك .. عند الشاطئ إنه أحد زوارقنا ، ولكنه ليس في
 مكانه الصحيح ، وفوق الرمال توجد ..
 بتر عبارته بفتة ، وأكملها بصغير استحسان طويل ، قبل أن
 يتف :
 — يا للملائكة السماء !.. من أين هبطت علينا تلك
 الساحرة ؟
 قال الضخم في غلظة :
 — أية ساحرة يارجل ؟.. أفصح .
 ناوله زميله المنظار ، وهو يقول في لهجة رجل مبهور
 مفتون :
 — انظر هناك يارجل .. فوق رمال الشاطئ ، على قيد متر
 أو مترين من الزورق ، ومسترى أروع امرأة رأيتها في عمرك
 كله .
 التقط منه الضخم المنظار ، ولم يكذب يضعه على عينيه حتى
 هتف :
 — أوه !

كان يتطلع مباشرة إلى (سونيا) بجماها الساحر ، وهي
ترقد على رمال الشاطئ ، في وضع يوحي بأنها فاقدة الوعي ،
وفتها الطاغية تتألق بأروع من ضوء الشمس الساقط فوقها ..
وفي سرعة ، ألقى الضخم المنظار جانباً ، وقال في حماس :
— إنها تحتاج إلى إسعاف سريع .
هتف زميله :

— سأصحبك لإنقاذها .

تسابقا في الهبوط من برج الحراسة ، وانطلقا يعدوان نحو
الشاطئ ، وما إن بلغا موضع (سونيا) ، حتى توقفا
مبهوتين ، وقد بدت لهما ، وهما يقفان على بعد خطوات منها ،
أكثر قسوة وسحرًا وإغراء ، بحيث تستحي منها زهور الأرض
كلها ، فغمغم الضخم مفتولاً :

— كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابته زميله :

— ربما هي واحدة من صديقات مستر (هنتر) ، أو ..
ثم هز رأسه في عنف ، باتراً عبارته ، وقال في حماس :
— ماذا يعنيها من هذا الآن ؟.. المهم أن نضعها أولاً
بأرجل .

ومال بجسده نحو (سونيا) ، مستطرذاً في غيب :

— إنها تحتاج إلى (قبرة الحياة) (*) .

كان يحنى نحو شفتي (سونيا) ، في شوق ، لم يلبث أن
تحول إلى النفاضة دهشة وفزع ، عندما فشت هذه الأخيرة
عينها بغتة ، وابتمت في سخرية ، قائلة :

— مفاجأة .. أليس كذلك ؟

وقبل أن تصع عينا الرجل في دهشة ..

وقبل حتى أن يستوعب ماحدث ، كانت ترفع يدها من
تحت ثوبها ، وتصوب إليه فوهة مسدسها المزود بكاتم
للصوت ..

وتطلق النار ..

وتراجع الضخم في ذعر وذهول ، عندما شاهد رفيقه
يسقط على الأرض جثة هامدة ، جاحظة العينين ، وهتف :

(*) قبرة الحياة : اسم دارج ، وعلمى في الوقت ذاته ، يُطلق على
وسيلة من وسائل النفس الصناعي ، التي تستخدم ، لإسعاف الفرق ،
وهي تعتمد على النفخ في فم المصاب ، ثم الضغط على صدره ، في خطوات
متتالية متتابعة ، بحيث يتم تشييط الرئة ، وحلها على الاستجابة ، وأداء
النفس بصورة طبيعية .

— باللشيطان !.. كان ينبغي أن أدرك هذا ، فمن المستحيل
أن يلقي إلينا البحر بغريق ، دون أن تلتهمه أسماك (البيرانا) ،
داخل سوار الأمن .
قالت (سونيا) ساخرة ، وهى تدير فوهة المسدس إلى
رأسه :
— استتاج متأخر يا صاح .
وأطلقت النار ..

تقدم ثلاثة من رجال (هنتر) فى حذر ، داخل الأحرش ،
وراحوا يشقون طريقهم عبرها فى ببطء ، وأسلحتهم مشهورة
أمامهم ، وغمغم أحدهم فى توتر :
— لقد سئمت لعبة مستر (هنتر) هذه .. إنها تجعلنا أشبه
بكلاب الصيد ، ونحن ننتقل خلف الطريدة ، لإنها كهها ،
ونعظيم قدراتها ، قبل أن نقدمها إليه لقمة سائغة ، على طبق من
فضة .

أجابه زميله الثانى فى لامبالاة :
— لا يعنينى كثيراً أو قليلاً أن ألعب دور كلب الصيد ، أو
حتى كلب حراسة الأغنام ، مادمت أنقضى أجراً كبيراً مقابل
هذا .



وقبل حتى أن يستوعب ما حدث ، كانت ترفع يدها من تحت ثوبها ،
وتصوب إليه فوهة مسدسها المزود بكاتم للصوت ..

ثم هز كتفيه ، مستطرذا :
— أضف إلى هذا أنها لعبة آمنة للغاية ، فنحن نظارد رجلاً
أعزل ، وليس من الخطورة أن ..
قاطعته الثالث بغصة :

— اصمت يا رجل .
— التفت إليه زميلاه في تساؤل ، فأشار في حذر إلى نقطة
قرية ، تتشابك فيها أغصان الأشجار في كثافة ، وهمس :
— هناك .

أدار الاثنان عيونهما إلى حيث يشير زميلهما ، واتسعت
عيونهما في ظفر ، وقد أدركا ما يقصده ، من النظرة الأولى ..
.. فهناك ، خلف الأغصان المتشابكة ، كان الظل يبدو
واضحاً ..

.. ظل رجل ممشوق القوام ، مفتول العضلات ، يخشى
خلف الأغصان ..

.. وفي سخرية ، همس أحد الرجال الثلاثة :
— بالسخرافة !.. ستنتهي اللعبة هذه المرة ، بأسرع مما
توقعنا .

قال الثاني في ارتياح ، وهو يصوب فوهة مدفعه إلى حيث
الظل :

— هذا أفضل ، فليست باللعبة الممتعة .

وأطلق النار نحو ظل الرجل ..
رجل المستحيل ..

* * *

انعقد حاجبا (هنتر) في شدة ، عندما تنهى إلى مسامعه
دوى رصاصات المدفع الآلي ، من قلب الأحراش ، وقال في
توتر :
— مستحيل !

ثم وضع منظاره فوق عينيه ، وحاول التطلع به إلى
الأحراش ، وتبين ما يحدث ، قبل أن يدرك عدم جدوى ذلك ،
فيزجحه من موضعه ، قائلاً في حدة :

— مستحيل أن يكونوا قد عثروا عليه بهذه السرعة ؟
قال (ألدو) ، مساعده الأول ، الذي يقف خلفه ممسكاً
أطواق كلاب الصيد الخمسة :

— ولم لا .. من المحتمل أنه قد أخطأ الوسيلة .
هز (هنتر) رأسه في شدة ، وقال :
— لا .. ليس (أدهم صبرى) .

ثم عقد حاجبيه مرة أخرى ، قبل أن يستطرد في خفوت :
— لقد خدعهم حقاً .
سأله (ألدو) في اهتمام :

— أهو داهية إلى هذا الحد ؟

أوماً (هتتر) برأسه إيجابا ، وقال :

— بل أكثر مما تتصور .

ثم أخرج واحدة من سجائره ، ذات الميسم الذهبى ،
ودسها بين شفتيه ، وأشعلها بقذاحة من العاج ، قبل أن يتابع :

— لو لم يكن كذلك لما اخترته خصماً لى هذه المرة ، فأنا

والثق من أنه سيزم الرجال العشرة ، الذين أرسلتهم خلفه ،

وسيدع حتى كلاب الصيد ، ولو لم يفعل لما استحق أن يبلغ

المرحلة الأخيرة ، عندما أهبط بنفسى خلفه ؛ لإنهاء اللعبة .. فى

تلك المرحلة الأخيرة يكون الصراع بينى وبينه مباشرة ، بعد أن

أنهكه صراع يوم بطوله ، وسيكون من السهل على أن أعثر

عليه وسط الأحراش ، وعندئذ سأصوب بندقيتى إلى رأسه ، و ...

فرقع سبائه وإبهامه ، مؤذنيا المعنى المشود ، فابتسم

(ألدو) ، وقال :

— كالمعتاد .

نفث (هتتر) دخان سيجارته ، وابتسم قائلاً فى هدوء :

— نعم .. كالمعتاد .

وعاد يرفع نظاره إلى عينيه ، مستطرداً :

— كل ما علينا هو أن نتظر ..

ومضى يراقب الأحراش فى صمت ..

أطلق رجال (هتتر) الثلاثة صرخة ظفر عالية ، عندما
رأوا رصاصاتهم تخترق الأغصان الكثيفة ، وتصيب ذلك الظل
البشرى ، وتلقى به بعيداً ، واندفعوا فى انفعال إلى حيث
الهدف ، ولم يكذب أولهم يقتحم منطقة الإصابة ، حتى هتف فى
سخط :

— اللعنة !

أدرك رفيقاه ما يعنيه بهتافه ، عندما لحقا به بعد ثانية واحدة ،

ووقع بصراهما على ذلك القميص المحشو بالأعشاب ، على هيئة

رجل ، والذي كانت تستقر فوقه كومة من الأغصان ، فى

شكل رأس بشرى ، وقد احترقت رصاصاتهم القميص

والأغصان ، فهتف أحدهم فى حق :

— لقد كانت خدعة .

وغمغم الآخر :

— يا للشعلب !

ثم رفع رأسه مستطرداً :

— ولكن أين ؟ ..

قبل أن يتم تساؤله ، أو حتى يفصح عنه ، كان الجواب

يهبط من أعلى الشجرة القريبة على رأسه ، ورأس زميله ..

فجأة وجد الثلاثة (أدهم) أمامهم ، واجسامته الساخرة فى

وجوههم ، وقبضته الفولاذية في فكوكهم وأنوفهم ..

ابهرس أنف الأول ..

وتحطّم فك الثاني ..

وانكسر عنق الثالث ..

ومن بين سحابة الدموغ والدم ، رأى الأول (أدهم

صبرى) ، بصدرة العارى القوى ، وعضلاته المفلولة ،

ونظراته الصارمة ينحنى نحوه ، وهو يقول :

— أسمح لى باستعارة مدفعك الآلى أيا الوغد ؟

أغشى الرجل وجهه بذراعه اليسرى ، خشية أن يهوى عليه

قبضة (أدهم) مرة ثانية ، فتحطّم البقية الباقية منه ، وهتف :

— لن يمكنك هذا .

أمسك (أدهم) ماسورة المدفع ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

ولكنه لم يكذب يجذب المدفع ، حتى انته فجأة إلى أن مقبض

المدفع يتصل بمعصم الرجل ، عن طريق سلسلة معدنية ، تحتد

من المقبض ، وتنتهى داخل سوار سميك ، يحيط بمعصم الرجل ،

الذى هتف فى رعب :

— لم أقصد أننى سأقاومك ، ولكنه مستر (هنتر) ، الذى

اتخذ كل الاحياطات اللازمة ، لمنعك من الحصول على أية

أسلحة ، طوال فترة المطاردة ، فهذا المدفع مزود بدائرة تفجير

إلكترونية ، بحيث ينسف نفسه نسفاً ، إذا ماتم انتزاعه من

معصم أحدها ، أو حتى انتزاع خزانة الرصاص منه .

ترك (أدهم) ماسورة المدفع ، واعتدل يدرس الموقف من

جديد ، فى ضوء مآلديه من معلومات ..

إن (هنتر) هذا داهية بالفعل ..

لقد رتب الأمر بحيث يظل (أدهم) أعزل طيلة المطاردة ،

حتى لو أوقع أحداً من رجال (سكوريون) ..

إن عليه أن يقاتل حتى النهاية بلا سلاح ..

وفجأة قطع أفكاره حفيف أوراق شجر ، بأق من أمامه

مباشرة ، وعلى بعد أمتار قليلة ، فرفع عينيه فى سرعة إلى مصدر

الصوت ، ووقع بصره على هذا الخطر الجديد ..

كان هناك رجل رابع ، من رجال (هنتر) ، يقف بين

الأشجار ، مصوباً فوهة مدفعه الآلى إليه ، وسبائبه تقفز نحو

الزناد ..

ورددت الأحرار دوى الرصاصات ..

وسالت الدماء فى قلب (تيرور) ..

* * *

لو أن للحياة أسلوبًا واحدًا ، تدير به الأمور في كل زمان ومكان ، لما كان هناك تاريخ غزير ، يحتشد بالأحداث والمواقف الجسم ، ويعجز القارئ المتفحص عن استيعابه في سنوات طوال ..

ولو أن للبشر قدرات متقاربة محدودة ، لما اتسعت عيوننا يومًا في انبهار وإكبار ، ونحن نشاهد بطلاً أولمبيًا يحطم رقمًا قياسيًّا جديدًا ، في العدو ، أو اجتياز الحواجز ، أو السباحة .. إلخ ..

ولو أن (أدهم صبرى) رجلًا عاديًا ، لما كان هناك داع لاستمرار سرد هذه الرواية ، بعد مصرع البطل .. ولكن من حسن الحظ أنه ليس كذلك ..

لقد كان رجل (سكوريون) محترفًا ، يصوب مدفعه الآلى إلى صدر (أدهم صبرى) تمامًا ، ويده تضغط الزناد في سرعة ، حتى لقد بدت العملية أشبه بلعبة صيد بسيطة ، من تلك التى نشاهدها كثيرًا ، فى مدن الملاهى ..

ولكن ما بين ضغطة الزناد وإطلاق الرصاصة يحدث الكثير ..

خاصة مع رجل مثل (أدهم) ..

لقد التقط عقل (أدهم) المدرب المشهد ، وتحرك في سرعة خرافية كاللحام ، ودرس الموقف ، واتخذ القرار المناسب ، ثم أبرق إلى الجسم والعضلات لتنفيذه ..

وبسرعة البرق ، امتدت يد (أدهم) تنتزع رجل (سكوريون) الملقى أمامه ، وصنع من جسده درعًا يقيه الرصاصات ، فى نفس الوقت الذى أمسك فيه مدفع الرجل الآلى ، وأطلق منه النار على الرجل الآخر ، دون أن يتزعجه من سوار التفجير الإليكترونى ..

وانطلقت رصاصات (أدهم) ورجل (سكوريون) ، فى لحظة واحدة تقريبًا ..

وأصاب رصاصات (أدهم) هدفها ، وانطلقت صرخات رجلين من رجال (سكوريون) ، لقايا مصرعهما فى آن واحد ..

وعلى الرغم من انتصاره ونجاحه ، لم يكن (أدهم) فخورًا أو سعيدًا ، وهو يترك جثة الرجل تسقط أرضًا ، بعد أن تلقت عنه رصاصات مدفع زميله ..

إن (أدهم) طراز نادر ، من بين العاملين فى شعب العمليات الخارجية ، بكل أنظمة الخبايا فى العالم أجمع ..

طراز يمقت القتل وإزاقة الدماء ، إلا دفاعاً عن النفس ،
وللضرورة القصوى ..

وهم اضطروه إلى هذا ..

ولكن حتى هذا لم يكن هناك وقت للتفكير فيه ،
ف (أدهم) يعلم أن صوت الرصاصات سيجتذب بأى رجال
(سكوريون) حتماً إلى المكان ، وعليه أن يتحرك في سرعة ،
حتى لا يوقع به ذلك الوغد الساذى (هنتر) ..

وبنظرة سريعة ، درس (أدهم) الموقف والمكان ، ثم قال
في خفوت :

— فليكن .

وراح يعمل في سرعة ..

* * *

لأول مرة ، منذ بدأت عملية الصيد ، تسأل شيء من القلق
إلى نفس (ألدو) ، وهو يسأل زعيمه :

— لرى ما الذى يعنيه إطلاق النار الثانى هذا ؟

نفت (هنتر) دخان سيجارته في هدوء ، وقال :

— يعنى ببساطة أن (أدهم صبرى) هذا لم يخب أمل فيه ،
وأنه لنجح في خداع وهزيمة رجالنا .

حدق (ألدو) في وجه زعيمه في دهشة ، وقال :

— وهل يُسعدك هذا ياسيدى ؟

هز (هنتر) كفيه في هدوء ، وقال :

— مادام قد هزمهم ، فهم يستحقون هذا .

ثم ارتسمت على شفاهه ابتسامة خبيثة ، وهو يستطرد :

— وهذا يثبت في الوقت ذاته أنه خصم مناسب .

لم يرق هذا المنطق لـ (ألدو) ، فعمد حاجبيه في ضيق ،
وقال :

— وهل سننظر حتى يهزمهم جميعاً ؟

هز (هنتر) رأسه نفياً ، وقال :

— بل سننظر حتى ينعكس الأمر ، وتدور الشمس نصف

دورها ، وتصبح في مواجهة عينيه هو ، وبعدها ..

واتسعت ابتسامته كثيراً ، وغمرتها موجة ضخمة من

الشراسة ، وهو يستطرد :

— يبدأ (هنتر) جولته الأخيرة .

* * *

شقّ الثان من رجال (هنتر) طريقهما في صعوبة ، وسط

الأغصان المشابكة ، حتى بلغا ذلك الموقع ، الذى ارتفع منه

دوى الرصاصات ، وعقد أحدهما حاجبيه في توتر ، وهو ينقل

بصره بين جيشي زميله ، قائلاً في حدة :

— اللعنة ...! لقد تسبب هذا الشيطان في مصرع زميلنا .
 فحسبهما الآخر في سرعة ، وقال :
 — يبدو أن كلا منهما قد أطلق النار على الآخر .
 ثم تلفت حوله في حذر ، مستطردا :
 — ولكن أين الآخرون ؟؟ إن (فيليب) لم يكن وحده .
 تناهت إلى مسامعهما ، في تلك اللحظة ، همهمة خافتة ،
 جعلتهما يلتفتان إلى مصدرها في سرعة ، ويشهران سلاحيهما ،
 قبل أن يقول أحدهما للآخر في فجأة تشف عن أعصابه الثائرة :
 — ذلك الصوت يأتي من هناك .. من خلف تلك الشجرة .
 ثم أشار إليه ، وهو يتقدم نحو الشجرة ، مستطردا :
 — سنقوم بحركة التفاف .. اذهب أنت من اليسار ،
 وسأذهب من اليمين .
 تحركا في سرعة ، ليلتقا حول الشجرة ، ثم هتف أحدهما :
 — اللعنة ...! إنهما رجلانا .
 وضع مدفعه جانبا ، وأسرع يحمل وثاق الرجلين ، اللذين
 قيدهما فرع شجرة مرن إلى جذعها ، وهو يسألهما :
 — من فعل بكما هذا ؟.. أهو ذلك الرجل ؟
 لم يكن باستطاعتهم إجابته ، بأفواههما المكشمة ، فقال له
 زميله :

— دعني أنتزع كمامتيهما أولاً يارجل .
 وانتزع الكمامة عن فم أحدهما ، وهو يقول :
 — حسنا .. حسنا .. لاداعي للعصية .. سأنتزع كمامتك
 أولاً ، وبعدها أخبرني ماتريد .
 ولكنه لم يكذب ينتزع الكمامة عن الرجل ، حتى شعر أنه
 يجذب معها جبلا طويلا من العشب ، كان يشبها من الخلف إلى
 جذع الشجرة ، وسمع زميله المقيّد إليها يصرخ في ذعر :
 — لم يكن ينبغي أن تنتزع الكمامة .
 وفي نفس اللحظة هوى فرع سميك من أعلى الشجرة ، كان
 جبل الأعشاب يمنع من السقوط ، وارتطم برأس الرجلين
 الجديدين في عنف ، فارتطمت جباههما بجذع الشجرة ،
 وسقطا عند قدمي زميليهما المقيدين فاقدى الوعي ..
 وهنا برز (أدهم) من خلف جذع شجرة قريبة في هدوء ،
 وهو يقول في سخرية :
 — يبدو أنه هناك أنواع من الشراك الحداعية ستظل
 صالحة ، لكل زمان ومكان .
 هتف أحد الرجلين المقيدين في حق :
 — لعنة الشيطان عليك .
 رمقه (أدهم) بنظرة ساخرة ، ثم انتزع جبل العشب ،

وراح يقيد به الرجلين الفاقدى الوعى ، وهو يقول :

— الشيطان أضعف مما تتصور أيها الوغد ، فهو لا يملك
القدرة على رمى البشر باللعنات ، بل هو مخلوق من مخلوقات الله
(عز وجل) ، لا يملك سوى أن يرمى حياله على ضعاف
النفوس مثلك ، فيغريهم بالانضمام إلى حزبه ، الذى سيكون
وقودًا للجحيم فى النهاية .

قال الرجل فى غضب :

— احتفظ بفلسفتك الدينية هذه لنفسك يا رجل .

اعتدل (أدهم) ، بعد أن انتهى من إحكام وثاق الرجلين
الآخرين ، وقال فى سخرية :

— وهل ظننتى أسمى لمشاركتك إياها ؟

ثم أمسك عنق الرجل بحركة مباغتة سريعة ، وهو يستطرد
فى صرامة مفاجئة :

— والآن ستخبرنى بما أريد .

كان لذلك التحول المباغت أثره الرهيب على الرجل ،
الذى تجمدت الدماء فى عروقه ، وشحب وجهه فى شدة ،
وتلعثمت الكلمات فى حلقه ، وهو يقول :

— وماذا تريد ؟

أجابه (أدهم) بصوته القوى :



لم يكن باستطاعتها إجابته ، بأفواههما المكثمة ، فقال له زميله :

— دعنى أنزع كاتميهما أولًا يا رجل ..

— بعض الأجوبة فحسب يارجل .. أريد معرفة عددكم داخل هذه الأحراش ، ونظام الأمن المتبع في لعبة الصيد هذه ، وكل التفاصيل الأخرى .

ازدرد الرجل لعابه ، واستجمع أكبر قدر من شجاعته ، وهو يقول في توتر :

— لن أخبرك حرفاً واحداً .

ابسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— فليكن .. هذا حقك ، ولكن هل تعلم أنني قد توصلت إلى الوسيلة الوحيدة ، للحصول على سلاح ، مع وجود تلك الأساور الإلكترونية المتصجرة ؟

لم يجد الرجل رابطاً بين حديث (أدهم) وسؤاله ، فطلع إلى هذا الأخير في حيرة ، حتى تابع (أدهم) في هدوء :

— لو أنني جذبت المدفع ، سيحمل هذا السوار ، فينفجر مع المدفع ، وأحسر أنا الاثنين معاً ، ولقد فحصت السوار نفسه ، ووجدت أنه محكم حول المعصم ، بحيث يصعب انتزاعه منه ، إذن فالحل الوحيد هو ..

مال بوجهه نحو الرجل ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يستطرد في صوت عميق ساخر :

— بتر المعصم .

اتسعت عينا الرجل في رعب ، ودارتا في محجريهما ، وهو يحدق في وجه (أدهم) ، الذي تراجع مستطرداً في هدوء مخيف :

— ثرى ماذا تفعل أنت ، لو كنت مكاني ؟ .. هل تتردد في بتر معصم رجل ، للحصول على سلاح ، وإنقاذ حياتك ؟

قفز الذعر في قلب الرجل إلى وجهه وأطرافه ، فراح يرتجف في قوة ، وهو يتف في شحوب متناه :

— الرحمة يارجل !! الرحمة !

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

— حتى الرحمة لها ثمنها يارجل .. هيا .. كلى آذان صاغية .

اندفع الرجل يقول في رعب :

— سأجيب عن كل أسئلتك .. أقسم لك .. إننا عشرة

رجال ، ولقد هزمت ستة منا حتى الآن ، وبقي أربعة ..

(مارك) و (سميث) ، و (ستيف) ، و (أونو) ، وكلنا

داخل شريحة من الجزيرة ، يحيط بها سور من الأسلاك الشائكة

المكهربة من الجانبين ، وهذه الشريحة تمتد من شاطئ المحيط ،

وحى تلك الربوة ، التي يتمركز عندها مستر (هنتر) ، بحيث

لا تملك الطريدة فرصة الدوران حول الهدف ، وداخل شريحة الصيد

هذه توجد عدة فخاخ ، وضعها مستر (هنتر) ، للإيقاع

بفريسته ، ولا توجد وسيلة للنجاة من كل هذا ، سوى قتل كل رجل
في الجزيرة ، وهذا مستحيل تمامًا .

استمع إليه (أدهم) في اهتمام ، ثم قال في ببطء :

— من يدري ؟ .. ربما كانت هناك وسائل أخرى .

ثم أعاد الكمامة إلى فم الرجل ، مضيفًا في حزم :

— أحسنت يا رجل .. ستحفظ بمعصمك .

وأدار ظهره للرجل ، الذي لم يصدق أنه نجى ، وانطلق وسط
الأحراش ، مستطرًا :

— وأبلغ (هنتر) أنه لن يربح لعبته هذه المرة .

قالها واندفع يعبر الأحراش في سرعة ، وعقله يعمل كعشرة من

أجهزة الكمبيوتر ، اندمجت بعضها ببعض ..

لقد أعد (هنتر) لكل شيء عدته ..

أعدّ ساحة اللعب ، كأى لاعب محترف ..

وعلى (أدهم) أن يتصدى لكل هذا ..

والعجيب أن (أدهم) لم يكن قد استعاد ذاكرته بعد ..

لم يكن يدرك قدراته الحقيقية ..

لم يكن يذكر خبراته السابقة ..

ولكن غريزته كانت تعمل على مايرام ..

وفي أعماقه ، راحت هذه الغريزة تدرس شخصية (هنتر) ..

إن أمثال هذا الساذي يتصورون دائمًا أنهم الأقوى ، ويحرصون

على دراسة وفهم الطباع البشرية ، بحيث لا يتركون أمام خصومهم
فرصة للفكاك أو الفرار ..

أو النصر ..

و (أدهم) يدرك الوسيلة المثلى ، للتعامل مع هؤلاء ..

يذكرها دون أن يذكر أين تعلمها ..

وفي أعماق ذاكرته ، تحرك جزء مظلم ، وكشف عن فجوة يحيط

بها الضباب ، ينبعث منها صوت هادئ وقور ، يقول :

— واجه خصومك دائمًا بما لا يتوقعونه ، وجابههم من حيث

لا ينتظرونك ، وفي هذا نصف النصر .

لم يذكر من علمه هذا ..

من لقنه إياه ..

ولكن شيئًا ما في أعماقه أنبأه بأنه تعلم هذا ، وهو بعد طفل

صغير ، في السابعة أو التاسعة من عمره ..

حاول أن يعصر عقله ، ليتذكر ، ولكن هذا لم يورثه إلا صداغا

ثقيلًا كالنعاد ، و ..

وفجأة تهاوت الأرض تحت قدميه ، وأدرك في اللحظة الأخيرة

أنه قد سقط في واحد من الفخاخ ، التي صنعها (هنتر) في منطقة

الصيد ، وعندما خفض عينيه في سرعة ، رأى جسده يهوى نحو

أرضية مكشوفة بأوتاد خشبية حادة الأطراف ..

أى نحو الموت ..

* * *

٤ - من فتح إلى فتح ..

صَبَّ (هتر) لنفسه كأساً من الشراب ، راح يرتشفه في بطة ، وهو يجلس على مفعد وثير ، أسفل مظلة واقية كبيرة ، فوق تلك الربوة العالية ، على قمة (تيرور) ، وقال بابتسامة جدلة :

— كم يمضي الوقت في بطة .

كان قوله يتناقض مع لهجته ، مما زاد من حيرة (ألدو) ، الذي اكتفى هذه المرة بهز كفيه ، وهو يقول :

— كم تتوقع له أن يقاوم يا سيدي ؟

ارتشف (هتر) رشفة كبيرة من كأسه ، قبل أن يجيب :

— حتى آخر رفق .

ثم أغمض عينيه ، مستطرداً في نشوة :

— وهذا ما يجعل عملية الصيد ممتعة .

غمغم (ألدو) :

— إنها تختلف عن كل مرة بالتأكيد .

لم يكده يتم عبارته ، حتى انبعث أزيز جهاز اللاسلكي في حزامه ، فالتقطه قائلاً :

— هنا (ألدو) ، من المتحدث ؟

استمع إلى محدثه في اهتمام ، عبر سمع الجهاز ، ثم قال :

— انتظر .

والنفت إلى زعيمه ، يقول :

— يبدو أننا نواجه متاعب أخرى ، على الجزيرة ياسيدي .

لم يرق لـ (هتر) أن يفسد شيئاً ما متعته ، فقال في ضيق :

— أي نوع من المتاعب ؟

أجابه (ألدو) :

— لقد تلقى رجالنا رسالة لاسلكية ، توحي بأن عميلًا من

(الموساد) يطلب دخول (تيرور) .

أوماً (هتر) برأسه إيجاباً ، رَأً ، بنفاد صبر :

— أعلم هذا .. ماذا تم في هذا الشأن ؟

أجاب (ألدو) :

— لقد أرسلنا زورقاً ، لالتقاط ذلك العميل من طائرة

مائية ، ولكن الزورق لم يعد إلى مرصاه ، ولم يرسل أية رسائل

أخرى ، فخرجت فرقة للبحث عنه ، وتم العثور عليه خالياً ،

عند النقطة رقم ستة عشر ، وإلى جواره جشا (بابليو)

و (بنيتو) ، حارسي برج المراقبة هناك ، مما يوحي بأن

الأمركان مجرد خدعة ، لتسلل شخص ما إلى الجزيرة .

عقد (هتر) حاجيه لحظات في صمت ، ثم لم يلبث أن رفع
عينيه ، قائلاً :

— إنها (سونيا) حتماً .

ثم رفع سبابته إلى (ألدو) ، مستطرذاً في لهجة أمرة :

— مر الرجال بمضاعفة الحراسة حول القلعة ، وتمشيط
الجزيرة ، بحثاً عن امرأة صارخة الجمال ، ولكن دعهم
يتخذون حذرهم ، فهي شديدة الخطورة في الوقت ذاته .
وابتسم ابتسامة خبيثة ، وهو يضيف :

— ولكن مرهم ألا يقتلونها ، فأنا أريدها حية ، إذ أنه من
الحماقة قتل ملكة جمال عالم التخابرات ، دون الإفادة من
خبراتها .

أسرع (ألدو) ينقل أوامر زعيمه إلى رجال
(سكوربيون) ، ثم سأل (هتر) :

— وما الذي أتى بها إلى هنا ؟

أشار (هتر) إلى الأحرار الممتدة أمامه ، وقال :

— إنها زوجة طريدتنا .

ثم ابتسم في سخرية ، مستطرذاً :

— وملاكه الحارس .

مع آخر حروف كلماته ، انطلق أوزير منتظم من لوحة

كبيرة ، وأضاء فيها مصباح أحمر صغير ، فهتف (ألدو) في
ظفر :

— لقد سقط المصري في الفخ رقم سبعة .

انعقد حاجبا (هتر) ، وقال :

— سقط فيه !؟

ثم تطلّع إلى الأحرار ، مستطرذاً في خفوت :

— يبدو أنك ستحطم ثقتي فيك يا مستر (أدهم) ..

ستحطمها إلى الأبد .

واختلطت كلماته بأوزير اللوحة الكبيرة ، وضوء مصباح

الفخ رقم سبعة ..

فخ الموت ..

لم ينتبه (أدهم) إلى الفخ بالفعل ، إلا بعد أن سقط فيه ..

ولكن هذا لا يعني أن الفخ سيهزمه ..

لقد انتبه إليه في لحظة متأخرة بالفعل ، إلا أن هذا لم يمنع

عقله من أن يعمل بسرعة خرافية كالمتعاد ، فبحرکت يده في

سرعة ، وأحاطت أصابعه بالأعشاب الطويلة عند حافة الفخ

و ..

وتوقّف جسد (أدهم) ، قبل أن تخترقه الأوتاد الخشبية ..

ولكن الأعشاب لم تكن لتحتمل طويلاً ..

وبكل المرونة والخفة ، انثنى جسد (أدهم) ، ثم انفرد كقوس قوى ، وتخلّت أصابعه عن الأعشاب الطويلة ، وبعدها استقرّت قدماء على حافة القبح ، واعتدل جسده ، وهو يقول لنفسه :

— لانسعد كثيراً لجائتك هذه المرة يا (أميجو) ، بل ينبغي أن تتعلّم الحذر ، وإلا قضى عليك فبح ثان .
تلقت حوله بنظرة فاحصة ، ثم راح يدرس خطته ، التى أعدّها عقله فى سرعة كعادته ..

إن منطقة الصيد ، التى اقتطعها (هنتر) من الجزيرة ، بدأ من شاطئ الجزيرة فى الشمال ، إلى الربوة التى ترتفع عندها القلعة فى الجنوب ، وهذا يعنى أن حاجزى الأسلاك الشائكة المكهربة يمتدان شرقاً وغرباً ، ومادام (هنتر) مطمئناً إلى أن طريدته ستحصر حتماً داخل تلك الشريحة ، فالوسيلة المثلى لتحطيم خطته هى الخروج منها ، والاتفاف حوله ، من حيث لا ينتظر هجوماً ..

ولكن من أية نقطة ينبغى العمل ، للخروج من هذا السجن الجهنمى ؟
إنها ليست البحر حتماً ، مع وجود تلك الأسلاك القاتلة فى

أعماقه ، وهذا لا يترك سوى الأسلاك المكهربة ، و ..

وبرزت الفكرة فى رأسه بحة ..

ومضت كمصباح قوى ، أنار عقله دفعة واحدة ، وانتقل إلى عينيه وشفتيه ، وهو يتسم ابتسامته الساحرة الشهيرة ، ويقول فى هدوء :

— نعم .. هذه هى الوسيلة المثلى .

وانطلق نحو الهدف ..

* * *

تسلّلت (سونيا) فى حذر ، عبر الأعشاب الطويلة ، حتى صارت على قيد أمتار قليلة من قلعة (تيروز) الشهيرة ، وأمسك مسدسها فى قوة ، وهى تقول لنفسها فى توتر :
— هاقد بلغت قلعة العقارب يا (سونيا) ، والآن ماذا ستفعلن لدخولها ؟

استعرض عقلها عشرات الطرق والوسائل فى سرعة ، إلا أنها بدت كلها عسيرة وغير منطقية ، فلم تلبث أن قالت فى حنق :

— كيف كان (أدهم) يفعلها إذن ؟ (*)

(*) راجع قصة (أرض الأحوال) .. المغامرة رقم (١٣)

لم تكذب تذكر اسم (أدهم) ، حتى عاودها ذلك القلق ،
الذى أصابها ، عندما سمعت دوى الرصاصات يتردد ، في
الأحراش القريبة ، فغمغمت :
— أتعثم أن تكون أنت (أدهم) نفسه ، الذى عرفته
طيلة عمري ، والذى تعجز حتى شياطين الجحيم عن هزيمته ،
والذى ..

انبعث من خلفها بغثة صوت ساخر يقول :

— هاهى ذى دميته الجميلة يارجال .

دارت حول نفسها فى سرعة ، ووقع بصرها على ذلك
الرجل القوى الصدر ، الذى يتطلع إليها فى سخرية ، ويحمل
مدفعه الرشاش ، مستطرذا :

— يالها من دمية ساحرة ! .. أراهنكم أنها من النوع
المتحدث ، الذى يقول (ماما) و (بابا) .

هتفت (سونيا) فى غضب :

— ويطلق النار .

قرنت قولها برفع فوهة مسدسها فى وجه الرجل ..

وأطلقت النار ..

وتفجّر الموقف كله دفعة واحدة ، وفى مشهد واحد

تقرينا ..

أصاب الرصاصات الرجل القوى الصدر ، وانتزعته من
الأرض ، وألقت به على ظهره جثة هامدة ، فارتفعت فوهات
مدافع زملائه نحو (سونيا) ، وصرخ أحدهم :

— الزعيم يريدنا على قيد الحياة .

هتفت (سونيا) :

— أشكرك أن أوضحت .

وأطلقت رصاصة من مسدسها على رأس رجل آخر ..
وانقضّ عليها أحد الرجال من الخلف ، وأحاط ذراعيها
بساعديه القويين ، وهو يقول فى حدة :

— يبدو أنها ليست مجرد دمية جميلة يارجال .. إنها غمرة
مفترسة .

قاومته (سونيا) فى شراسة ، وانطلقت رصاصات
مسدسها فى أرض (تيرور) ، حتى فرغت خزانة المسدس ،
فراحت تصرخ :

— أيها الاوغاد .. أيها الوحوش .

شدّد الرجل ضغط ساعديه على جسدها ، وهو يقول
ساخرا :

— كفى أيها المتوحشة .. لن يمكنك مقاومة دسته من
الرجال طويلا .

فوجئ بمقاومتها تراخي فجأة ، وبلهجتها تذوب في نهر من الهدوء المبالغ ، وهي تقول :

— صدقت .. لن يمكنني هذا .

دفع تراخيها المفاجئ الرجل إلى تخفيف ضغط ساعديه حولها ، على نحو غريزي ، وهو يقول :

— هكذا تكون لغة العقلاء .

انفلتت من بين ساعديه بغتة ، وهي تقول :

— ومن قال إنني أحب هذه اللغة ؟

وبسرعة ومرونة ، ركلت مدفعاً آلياً من يد صاحبه ، وقفزت لتلتقطه من الهواء ، ولكن الرجل ، الذي انفلتت من بين ذراعيه ، انقضَّ عليها مرة أخرى ، وأحاط جسدها بساعديه كالسابق ، وهو يقول في غلظة :

— أيتها الأفعى اللعينة !

ثم هوى آخر على مؤخرة عنقها بضربة فنية ، جعلتها تطلق شهقة ألم ، ثم تسقط بين ذراعي الرجل فاقدة الوعي ..

لقد ربح (تيور) هذه الجولة ..

مع (سونيا) على الأقل ..

أغلق (هنتر) جهاز اللاسلكي ، ووضعه إلى جواره ،



ثم هوى آخر على مؤخرة عنقها بضربة فنية ، جعلتها تطلق شهقة ألم ،
ثم تسقط بين ذراعي الرجل فاقدة الوعي ..

والفت إلى (ألدو) ، قائلاً في هدوء شديد :

— لم يحطم (أدهم) هذا أمل فيه ، كما كنت أتمنى ، لقد هزم ستة من رجالنا ، ونجا من الفخ رقم سبعة .

عقد (ألدو) حاجبيه في توتر ، وهو يقول :

— ما زال لدينا أربعة رجال .

هز (هنتر) رأسه نفياً ، وقال :

— لقد أمرتهم جيئاً بالعودة ، وإخلاء الأحرار .

هتف (ألدو) في دهشة :

— ولكن لماذا ؟

ابتسم (هنتر) ، وقال :

— لم أعد أحتمل الانتظار يا عزيزي (ألدو) .. إن أدهم

هذا يتجاوز كل العقبات في يسر وسهولة ، يغريان صيادا ماهراً

مثل بالسعي خلفه .

وبرقت عيناه في نشوة ، وهو يلوح بكفه ، مستطرداً :

— سيكون أروع صيد ظفرت به في حياتي كلها .

أتاه صوت أنثوى عصبي ، يقول :

— هذا لو لم يظفر هو بك مسبقاً .

التفت في هدوء إلى حيث تجلس (سونيا جراهام) ، وقد

تم تقييد معصمها — في إحكام — إلى مسند القعد ، وابتسم قائلاً :

— رائع .. يبدو أن ضيفنا قد استعادت وعيها في سرعة .

قالت في حدة :

— تقصد أسيرتك .

هز كفيه في لامبالاة ، قائلاً :

— فليكن .. لن يشكّل هذا فارقاً ، بالنسبة إلى .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تسأله في اهتمام :

— أين (أدهم) ؟

أشار إلى الأحرار ، وقال في هدوء :

— هناك .

ثم أضاف بابتسامة عجيبة :

— تحت سيطرتنا تماماً .

ابتسمت في سخرية ، وهي تقول :

— هذا ما يتصوره الجميع ، عندما يتعاملون مع (أدهم) ،

ثم يكشفون — بعد فوات الأوان — أنهم هم تحت سيطرته .

عاد تيز كفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— ربما .

دان عليهما الصمت لحظات أخرى ، ثم قالت (سونيا) في

دلال ، وهي تبسم ابتسامة جذابة ، شديدة الإغراء :

— هل ستركني مقيدة هكذا ؟

أجابها في هدوء :

— نعم .. سأتركك هكذا يا عزيزي (سونيا) .

وابتسم في دهاء ، مستطرذا :

— فلست ممن يمكنك إفقادهم عقولهم وغلب لهم ،

بجمالك الساحر وفستك الطاغية يا أميري .

هتفت في غضب :

— أيها الوغد .

فقهقه ضاحكًا ، ثم قال في هدوء :

— أنعلمين أنك تدهشيني كثيرًا يا عزيزي

(سونيا) ؟ .. سجلاتنا هنا تقول بأنك العدو اللدود

ل (أدهم صبرى) ، منذ بدأت مواجهاتكما ، في عالم

الغابرات ، ولكنك ظهرت فجأة للبحث عنه ، وتزوجته ،

وتقاتلين الآن إلى جواره ، ومن أجله ، فكيف انقلبت مشاعرك

رأسًا على عقب هكذا ؟

قالت في برود :

— لن يمكنك أبدًا فهم مشاعر النساء .

أوما برأسه موافقًا ، وقال :

— هذا صحيح .

ثم أشار إلى الأحراش مرة أخرى ، وأضاف :

— ولكنني أفهم مشاعر الرجال ، أمثال (أدهم) .

قالت ساخرة :

— هل تتصور أنك قادر على فهم (أدهم) ؟

أوما برأسه إيجابيًا ، وقال :

— قلت لك يا عزيزي أنه تحت سيطرتنا تمامًا .

واسترخى في مقعده ، وهو يتطلع إلى الأحراش ، متابعًا :

— لقد أطلعت صديقنا (أدهم) وسط أحراش

(تيور) ، وأخبرته أنها عملية صيد ، وأنا سنطلق خلفه

لاصطياده والإيقاع به .

قالت في حدة :

— لن توقع به أبدًا .

ابتسم في سخرية ، وتابع وكأنه لم يسمع تعليقها :

— ولقد نجح (أدهم) — حتى الآن — في هزيمة كل من

اعترض طريقه من رجالنا ، ونجا من فخ قاتل ، وصنع كل ذلك

بمهارة فائقة ، وعلى نحو يشق عن براعته وحكته .

قالت في ارتياح :

— ألم أقل لك ؟

مرة أخرى تجاهلها تمامًا ، وهو يستطرد :

— ما الذى يمكن أن يفعله صديقنا (أدهم) ، بكل ذكائه

ومهاراته ، عندما يدرك طبيعة الموقف المحيط به تمامًا ، خاصة

بعد أن أجبر أحد رجالنا على أن يدلى له بكل مالدیه ، حول وسائل الأمن ، وعلم أنه داخل شريحة منتقاة من الجزيرة ، يحدها المحيط بأسماءك (البيرانا) المتوحشة شمالاً ، والقلعة جنوباً ، وحاجزان من الأسلاك الشائكة المكهربة ، في الشرق والغرب ؟

كادت تحيب السؤال في تلقائية ، ولكنها أمسكت لسانها في اللحظة الأخيرة ، وهزت كفيها ، دون أن تنس بيت شفة ، فابتسم (هنتر) ، وقال :

— سأخبرك أنا ما الذي يفعله رجل مثله .

ولوح يده نحو الأحرار ، قائلاً في هدوء :

— سيحاول أن يفعل مالا أتوقعه ، وهو أن يخرج من منطقة

الصيد ، ويدور حولي ، ويأغتنى من الخلف .

شعرت (سونيا) بالتوتر ؛ لأن هذه هي نفس الفكرة ،

التي راودتها ؛ لخبرتها السابقة في التعامل مع (أدهم) ،

وارتجف قلبها بين ضلوعها ، عندما ارتسمت على شفتي

(هنتر) ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

— وعندما يفعل هذا لن يدرك أنه إنما يتجه بقدميه نحو فخ

جديد .. فبح قاتل .

وفي هذه المرة كانت ضحكته مختلفة ..

كانت شيطانية بحق ..

٥ — لعبة الدم ..

استجابت والدته (منى توفيق) إلى نداء جرس الباب في سرعة ، وهي تتساءل في قلق عن ذلك الزائر ، الذي يدق جرسها في الفجر ، ولم تكذب تفتح الباب حتى تضاعفت دهشتها ، وهي تتطلع إلى تلك الحسنة الفاتنة ، التي وقفت تتطلع إليها في شراسة عجيبة ، تبدو شديدة التناقض مع جمالها الصارخ ، قبل أن تسألها في لهجة باردة ، تحمل شيئاً غير يسير من العنف :

— هذا منزل الرائد (منى توفيق) .. أليس كذلك ؟

أجابتها الأم في قلق :

— بلى ، ولكن من ؟ ..

قاطعتها الفاتنة في صرامة :

— هل (أدهم) هنا ؟

فجر السؤال بركائلاً من القلق والخوف والتوتر في أعماق الأم ، خاصة وأن (أدهم) قد حذرهما — منذ قدومه ، من إبلاغ أى مخلوق بمكانه ، وغمغمت الأم في اضطراب :

— (أدهم) ؟ .. (أدهم) من ؟

أزاحتها الفاتنة جانباً ، ودلفت إلى المنزل ، وأغلقت الباب خلفها ، وهي تقول :

— سأبحث عنه بنفسى .

وانجهت في خطوات سريعة إلى حجرة نوم (منى) ، ثم لم تلبث أن توقفت أمام باب المكتب ، عندما تناهى إلى مسامعها صوت (أدهم) من الداخل ، فاستدارت إلى الباب في شراسة ، وفحته في عنف ، والدفعت إلى الداخل هاتفة :

— كنت أعلم أنني سأجذك هنا .

هبت (منى) من مقعدها ، هاتفة في دهشة :

— (سونيا) .. كيف وصلت إلى هنا ؟

قالت (سونيا) في ثورة :

— كنت أعلم أنني سأجد (أدهم) هنا .. كنت أعلم أنه سيهرع إليك ، فور استعادته ذاكرته .. كنت أشعر بهذا وأخشاه طيلة الوقت .

انعقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، وهو يلغظ إليها قائلاً :

— اصمتى يا (سونيا) .

أدارت عينها إليه ، وقالت في مرارة :

— ولكنك زوجى أنا ، ومن حقى أن ..

قاطعها في صوت هادر :

— قلت اصمتى .

ولدهشة (منى) البالغة ، رأت (سونيا) تتكمش أمامه ، وتطلع لسانها في طاعة ، وهي تتطلع إليه بعينين فقدتا شراستهما ، وحلتا نداء أقرب إلى الضراعة والرجاء ، وهي تقول :

— (أدهم) .. أرجوك .

أسرعت والدلة (منى) إلى الحجرة ، في هذه اللحظة ، ونقلت بصرها بين وجوه الجميع ، في قلق بالغ ، وهي تقول :

— ماذا يحدث ؟ .. من هذه السيدة ؟

انجهت إليها (منى) ، وربتت على كفها في حنان ، وقالت :

— لا تقلقى نفسك يأماه .. إنها مشكلة عمل .. أتركينا وحدنا ، وسيتى كل شيء في سلام بإذن الله .

نقلت الأم بصرها بين وجوههم مرة أخرى في قلق ، ثم غمغمت في استسلام :

— كما ترغبين يابنتى .. كما ترغبين .

وغادرت حجرة المكتب في صمت ، وأغلقت بابها خلفها في هدوء ، فأشار (أدهم) إلى (سونيا) ، وقال :

— اجلسى يا (سونيا) .

أطاعته (سونيا) في استسلام ، يتألى مع طبيعتها القديمة ،
وهي تقول :

— ولكننى أحبك يا (أدهم) .. أنت تعلم هذا .

تنهّد في مرارة ، وهو يقول :

— نعم .. أعلم .

شعرت (منى) بغصة تختق في حلقها ، وقفزت غيرتها إلى
الذروة ، وهي تستمع إلى كلمات الحب ، التى تلقياها (سونيا)
على مسامع (أدهم) ، والتى أعجزها خجلها هي عن قولها له
دائماً ، وهي التى لم تمنح قلبها قط لسواه ، حتى عندما تصوّرت
أنه قد لقي مصرعه ..

ورآن على الحجرة صمت ثقيل ، دام دقائق طويلاً ، قبل أن
يقطعه (أدهم) ، قائلاً :

— كنت أقصّ على (منى) ما حدث لنا في (تيرور) .

قالت (سونيا) في ضراعة :

— هل تذكر ما فعلته من أجلك هناك ؟

قال في اقتصاب :

— نعم .

ثم اعتدل في مقعده ، واستطرد :

— لقد أنقذت حياتى في الواقع .

قالت (منى) ، وهي ترمق (سونيا) في غيرة :
— أنقذت حياتك ؟!

أوماً برأسه إيجاباً ، وقال :

— هذا صحيح .

ثم عاد يروى القصة ..

قصة جزيرة الجحيم ..

* * *

نهض (هنتر) من مقعده في هدوء ، بعد أن شرح
له (سونيا) فكرته كلها ، وحمل بندقيته ذات المنظار ، ودسّ
في حزامه خنجرًا حادًا ، ثم التفت إلى (ألدو) ، وقال :

— الآن حانت لحظة الصيد يا عزيزى (ألدو) .

تألّقت عينا (ألدو) في جذل ، وجذب أطواق كلاب
الصيد الخمسة ، فبحث كلها في شراسة ، ارتجف لها قلب
(سونيا) ، و (هنتر) يلتفت إليها ، قائلاً :

— معذرة يا عزيزى ، سأضطر للانصراف ، وسأتركك في
رعاية شقيقى (جارد) ، حتى أعود إليك برأس زوجك
العزیز .

قالت في حدة :

— أو يعود هو برأسك .

أطلق (هتر) ضحكة ساخرة ، وقال :

— سنرى .

ثم التفت إلى شاب قوى ، وسيم الطلعة ، يشبه إلى حد كبير ، وقال :

— احرس منها يا (جارد) ، فهي تمتلك قدرًا من الحب والدهاء ، يبلغ أضعاف ماتملكه من جمال .

قال (جارد) في حزم واقصاب :

— اطمئن .

حل (هتر) بندقيته فوق كتفه ، وقال :

— أنا مطمئن .

ثم راح يبط الربوة في زهو وثقة ، يتقدمه (ألدو) وكلابه الخمسة ، حتى ابتلعهم الأحرار ، واخذوا داخلها ، فقالت (سونيا) في بغض :

— ياله من مغرور !

ألقي عليها (جارد) نظرة سريعة ، وقال في حزم :

— شقيقى (هتر) عبقرى .. لقد كان عميلًا صغيرًا

للمنظمة في (فرجينيا) ، ولكنه كافح واجتهد ، وراح يشق طريقه في هذا العالم ، حتى اختاروه رئيسًا وزعيمًا للمنظمة كلها ، بعد مصرع زعيمها السابق .

أدركت بفريزتها وخبرتها أن (جارد) هذا من الطراز المتحدّث ، فسألته في اهتمام مفتعل :

— وماذا عنك أنت ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

— أنا أختلف ، فقد ..

ثم بتر عبارته بغتة ، وعقد حاجبيه في صرامة ، وقال :

— لا .. لن أخبرك شيئًا .. (هتر) حذرنى من أن أسقط في

حبالك .

وأشاح بوجهه عنها ، وأمسك مدفعه الآلى في صرامة ،

فعضت هي شفتها السفلى في غضب ، وأدارت وجهها إلى

الأحرار ، وهي تتساءل في أعماقها :

— أين أنت يا (أدهم) ؟ .. أين ؟

ولم يكن لديها جواب ..

قط ..

* * *

عبرت الكلاب الأحرار في سهولة ، فقد اعتادت مطاردة

فرائسها ، من الحيوانات والبشر فيها ، وتبعها (هتر) ، وهو

يفحص الأرض والأغصان في اهتمام بالغ ، ويقول

لـ (ألدو) :

— إننا نسير في الطريق الصحيح يا (ألدو) .. كل الشواهد والأدلة تشير إلى هذا .

ثم أشار إلى منطقة الأغصان المتشابكة ، التي أطلق عليها رجاله النار ، وهم يظنونها (أدهم) ، وقال :

— هنا أطلق رجالنا الأغبياء النار .. لقد خدعهم ذلك الرجل بوسيلة ما .

أدار عينيه فيما حوله ، وتابع :

— ولقد دار بينه وبينهم قتال سريع ، فهناك أغصان كثيرة محطمة ، وفروع منهشمة .

واعتمد يفكر لحظة في عمق ، ثم قال في حزم :

— هيا .. ستجده إلى المنطقة السابعة على الفور ، فنحن نعلم أنه قد سقط في فجّ هناك ، وسنبداً في اقتفاء آثاره من تلك النقطة .

حقاً الخطأ ، حتى بلغا المنطقة السابعة ، وفحص (هنتر) الآثار هناك ، ثم اعتدل ، وابتسم في جدل ، قائلاً :

— إنه ذكي وخبيث بالفعل .. ولكنه مازال تحت سيطرتنا . سأله (ألدو) :

— هل اتجه إلى أحد حاجزى الأسلاك ، كما توقعت

ياسيدي ؟



عبثت الكلاب الأحرار في سهولة ، فقد اعتادت مطاردة فرائسها ، من الحيوانات والبشر فيها ..

أوماً (هتتر) برأسه إيجابا ، وقال :

— نعم ، ولقد اختار أن يتجه إلى الحاجز الغربى ؛ لأن هذا
سيجعل الشمس فى مواجهتها ونحن نطارده ، ولأن الرياح
ستهب فى اتجاهه ، مما يمنع الكلاب من التقاط رائحته .

وعاد يومئ برأسه فى جذل ، مكرّزا :

— إنه داهية بحق .

ولوح ببندقيته ، ثم عاد يضعها على كتفه ، مستطرذا :

— وهذا يزيد من متعنى كثيرًا .. هيا يا عزيزى

(ألدو) .. ستبع صديقنا (أدهم) إلى الغرب .

وانطلق مع كلابه نحو الهدف ..

واستمرت عملية الصيد ..

* * *

بلغ (أدهم) نهاية منطقة الأحراش الكثيفة ، ووصل إلى

مساحة منبسطة ، يمتد فيها عشب قصير حتى يبلغ الهدف ،

الذى يسمى (أدهم) إليه ، فتهد (أدهم) ، وقال بسخريته

الشهيرة :

— يبدو أن هذا هو أخطر عائق يواجهك يا (أميجو)

جلس مستندا ظهره إلى جذع شجرة ضخمة ، وأخفى عينيه

براحته ، وهو يلقي نظرة سريعة على قرص الشمس ، الذى بدأ

رحلته ، من منتصف السماء إلى الغروب ، وتابع :

— اجتياز تلك المساحة العارية بعد انتحازا ، فى مثل هذه

الظروف ، ولو أننا انשמعنا إلى صوت العقل ؛ لكان من

الضرورى أن أنتظر حلول الليل .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطرذا :

— ولكن من ذا الذى يستمع إلى صوت العقل ؟

كان يعلم أن أحدا لن يمهله الوقت الكافى ، حتى يبيط

الليل ، ويمكنه شق طريقه نحو هدفه ، ويعلم فى الوقت نفسه أنه

من المستحيل أن يعبر تلك المساحة ، تحت ضوء الشمس ، فى

وجود أكثر من عشرين رجلا ، يراقبون المنطقة فى حذر

وانتباه ، ويتحفظون لإطلاق النار على أى جسم يتحرك ، حتى

ولو كان ظلهم ..

ولكن عليه أن يجد الحل حتما ..

أو يموت ..

فجأة شعر بذلك الشئ الناعم الدافئ على قدميه ..

ثم التفت عيناه بعينى الشئ ..

وكان هذا الشئ ألقى ..

ألقى من نوع الكوبرا السام ، تتطلع إليه فى تحفز

واستعداد ، وتتأهب للانقضاض عليه ..

وبلا رحمة ..

* * *

٦ - الأفي ..

أطلقت (سونيا) تنهيدة حارة من أعماقها ، واسترخت
بجسدها فوق المقعد ، الذى قيّدا معصميا إليه ، وقالت فى
لهجة تفوح بالدلال :

— يا لحرارة الطقس اليوم !

التفت إليها (جارد) فى دهشة ، وقال :

— حرارة الطقس !؟ .. ولكننى أرى الطقس رائعا اليوم .

أسبلت جفניה على نحو مدروس ، تدرك جيّدا تأثيره على
جمالها وفتنتها ، وهى تقول فى صوت ناعم :

— لِمَ أشعر بالحرارة إذن ؟

تطلع (جارد) إلى وجهها الساحر الفاتن ، ويخيل إليه أن
تلك الحرارة ، التى تتحدث عنها ، تبعث من أعماقه هو ،
وتتصاعد إلى قلبه ، فتلفحه بنيران ملتهبة ، وترفع نبضه إلى
ذروته ، حتى أن العرق أخذ يتصبّب على وجهه ، على الرغم
من ملاحظته الأخيرة عن روعة الطقس ، فوجد نفسه يغمغم :

— نعم .. إنه حار بالفعل .

ثم تذكر تحذير شقيقه ، فأشاح بوجهه فى سرعة ، وهو

يقول فى توثر :

— ولكن علينا أن نحتمله .

قالت (سونيا) فى دلال ، ولهجة يندر ألا يستجيب لها
رجل :

— هل لى فى جرعة من الشراب على الأقل ؟

أجابها على الفور :

— بالتأكيد .

قالها فى حماس ، لم يدر هو نفسه سبباً له ، وانقضّ على للاجة
الرحلات الصغيرة ، فانتزع منها زجاجة شراب مثلجة ، ومدّ
يده بها إلى (سونيا) ، التى منحته أكثر اهتمامها سحرًا
وجاذبية ، وهى تقول فى أسف :

— لن يمكننى تناوؤها .. إننى مقيّدة المعصمين .. ألا ترى
هذا ؟

نقل بصره إلى معصميا المقيّدين ، وغمغم فى حيرة :

— ماذا نفعل إذن ؟

أسبلت جفניה الجميلين مرة أخرى ، وقالت :

— أخشى أن أطلب منك حل أحد معصمى ، حتى
لا تتصوّر أننى أحاول خداعك .

ثم تهذج صوتها ، وهى تستطرد :

— لا داعى .. لن أشرب .. سأحمل حرارة الطقس .
تضاعفت حرارته هو مع لفتها ، وصوتها الناعم البائس ،
فقال مشفقاً :

ولم لا أسقيك أنا ؟ . يمكنك أن ترفعى فمك ، وسأدلى
طرف الزجاجة من شفتيك ، و ..
قاطعته بصوتها الدالى :

— لا .. هذا يفقدنى الشعور بآدميتى .. لا .. لست أريد .
وانحدرت من عينيها دمعة باردة ، تعلمت على أيدي الخبراء
فى (المرساد) ، كيف تصطنعها وقت اللزوم ؛ لتستدرج بها
عاطفة الخصم ، وبدت له تلك الدمعة أكثر دفئاً من كل ينابيع
الأرض ، فاختلج قلبه وهو يتطلع إلى سحرها وجأها ،
وتصارعت فى أعماقه رغبته فى محو حزنها ، وضمها إلى صدره ،
وضرورة طاعته لشقيقه ..

ولكن جمال (سونيا) كان فاتناً بحق ..
كان أروع من أن يصمد أمامه رجل عادى ..
ولهذا انهارت مقاومة (جارد) ..
وفى تردّد ، قال :

— يمكننى أن أحلّ واحداً من معصيك .
رفعت عينيها المسبلخين الدامعين إليه ، وقالت :

— حقاً ؟

أسرع يقول :

— نعم .. على أن أوثقه مرة أخرى ، بعد أن تشرى .

وانخفض صوته ، وهو يستطرد فى قلق :

— ولن نخبر (هنتر) بهذا .

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت فى نعومة :

— أعدك أنه لن يعلم .

جفّف عرقه فى توتر ، ثم انحنى يحلّ وثاق يدها اليمنى ، وهو
يدنى وجهه من وجهها ، ويتنفس أنفاسها العطرة ، مغمغماً :

— لم أحتمل رؤيتك تبكين .

همست فى دلال :

— حقاً ؟

ولكنها لم تكذب تشعر بمعضمها يتحرّر ، حتى ألقت كل
نعومتها خلف ظهرها بغتة ، وقالت فى سخرية :

— إنك إذن أغبى رجل رأيته فى حياتى .

وارتفعت ركبتيها فى قوة وحدة ؛ لترتطم بضلوعه فى عنف ،
وشهق الشاب فى ألم ، وسمع صوت تحطم إحدى أضلاعه ، قبل
أن يهوى (سونيا) بحافة يدها على عنقه ، ثم تختطف مدفعه
الآتى من يده ، وتلصق فوهته بموضع قلبه ، مستطردة فى شراسة :

— والأغبياء لا يستحقون الحياة .

وبلا تردّد ضغطت زناد المدفع الآلى ..

وانكم صوت الرصاصة ، وهى تعبر صدر الشاب ،

وتخترق قلبه ، ثم تنفذ من ظهره بلا رحمة ..

فى هذا كانت (سونيا) تختلف تمامًا عن (أدهم) ..

لم يكن القتل يعنى لها شيئاً ..

لم تكن تبالى بإراقة الدماء ..

بل إنها كثيراً ما كانت تجد أن إزاحة خصومها عن الطريق ،

أفضل من بقائهم على الساحة ، وهم يحملون فى قلوبهم الرغبة

فى الانتقام منها ..

وفى سرعة ، دفعت جثة الشاب بقدمها ، وهى تقول فى

ازدراء ..

— أيها السخيف ، لقد لوثت جورى بدمالك .

ثم حلت وثاق معصمها الأيسر ، ونهضت تقول :

— ثرى أين وضعوا مسدسى ؟

وقع بصرها على المسدس المزود بكاتم للصوت ، والموضوع

على المائدة المجاورة لمقعد (هنتر) ، فالتقطته فى سرعة ،

وانزعبت خزانته الفارغة ، وألقته بعيداً ، ثم التقطت من

جورها خزانة أخرى ممتلئة بالرصاصات ، ودفعتها أسفل مقبض

المسدس ، ثم قالت :

— معذرة يا عزيزى (أدهم) .. لن أهرع خلفك على

الفور ، فاحفظى بك لا يحتاج إلى إنقاذ حياتك فحسب ،

وإنما إلى إخفاء كل ما يتعلق بشخصيتك عن الجميع .. حتى

عنى أنت نفسك .

وأسرعت الخطأ نحو هدف لم يكن (هنتر) ليتوقعه ..

نحو القلعة ..

* * *

انهماك (هنتر) فى فحص الآثار ، التى تركها (أدهم)

خلفه ، وهو ينطلق بكلامه نحو الحاجز الغربى ، حتى ارتفعت

زجاجة مباحثة من الكلاب الحمسة ، التى توقفت بغصة ،

وانتصبت ذيوها ، وراحت ترفع قائمتها فى توتر ، فتوقف

(هنتر) ، وانتبهت حواسه كلها ، وهو يقول :

— لقد التقطت الكلاب رائحته .. لقد تبدل اتجاه الرياح .

التزم (ألدو) الصمت ، وكذلك فعلت الكلاب الحمسة

المدربة ، فى حين التقط (هنتر) نظاره فى بطاء وحذر ،

ووضعه فوق عينيه ، وراح يديره فى المكان مضطجاً ، حتى

توقف عند نقطة فى أقصى الغرب ، وقال فى انفعال :

— ها هوذا

كان المنظار ينقل إليه صورة جزء من جسد رجل ، يستد بظهره إلى جذع شجرة كبيرة في صمت ، دون أن تدير عنه حركة واحدة ، فاستطرد (هتر) ، وهو يخفض المنظار في نشوة :

— لقد وقع .

ثم اقترب من الكلاب ، وقال :

— رائع أيها الصغار .. لقد التقطتم رائحته في مهارة ، عل الرغم من أنكم لم تحصلوا إلا على قدر ضئيل منها ، من قطعة الثياب التي انتزعناها منه ، قبل أن نطلقه في الأحرار .. زجرت الكلاب في خفوت ، فربّت على رءوسها ، واحدا بعد الآخر ، وقال :

— هل تريدون اقتاصه أولا ؟

عادت الكلاب تزجر مرة أخرى ، فابتسم مستطردا :

— لا بأس .. سأمنحكم الفرصة .. من صاحب الحق هذه المرة ؟ . إنه أنت يا (جاوس) .. أليس كذلك ؟

حل السلسلة المعدنية من طوق أضخم الكلاب حجما ، وداعب ظهره ، وهو يقول :

— ها .. ستفوز به أنت ، ولكن حذار أن تنبح ، قبل أن

تبلغه ، وحذار أن تقتله ، فمهمت ك هي اقتاصه فحسب ، أما قتله فهو مهمتي أنا .

وربّت على ظهر الكلب ، قبل أن يقول في حزم :
— ها .. انطلق .

وأطاع الكلب الأمر على الفور ، وكأنما يروق له أن يسفك الدماء كصاحبه ، وانطلق نحو الهدف ..

* * *

تجمّد (أدهم) تماما ، حتى لقد بدا أشبه بتمثال من الرخام ، وهو يحدّق في عيني الأفمي المشقوقين ، ويتبادل معها نظرة صارمة ، كما لو أنهما في موقف تحدّد ، أو في صراع زعامة .. كان (أدهم) يعلم أن الأفمي تدرس خصمها أولا .. قبل أن تنقض ..

وكان هو ينتظر لحظة الانقضاض هذه ..

ثم رفعت (الكوبرا) رأسها ، وأبرزت أنيابها ، وتقوّست على نحو مخيف ..

وانقضت بغتة ..

وكان سباقا للسرعة ، والقوة ..

في نفس اللحظة التي انقضت فيها (الكوبرا) ، أو التي



وقبل أن تنفض أنياب الأفعى على عنق (أدهم) ، كانت يد (أدهم) تنفض على عنق الأفعى ..

بدأت فيها انقضاضتها ، رصدت عينا (أدهم) الموقف كله ، وبدأت يده حركتها ..

وقبل أن تنفض أنياب الأفعى على عنق (أدهم) ، كانت يد (أدهم) تنفض على عنق الأفعى ..

وأطلقت الأفعى فحيحها الغاضب ، وراحت تتلوى في هياج ، وقبضة (أدهم) تطوق عنقها في قوة ..

وفي هدوء ، عاد (أدهم) يتطلع إلى عيني الأفعى ، وهو يقول :

— الآن تعلمين من الأقوى .. أليس كذلك ؟

تراخت الأفعى في قبضته ، وكأنما استوعبت الدرس أو فهمته ، وراحت تتطلع إليه بعينها أيضا ، وهو يتسم مستطرذا :

— إننى لا أحل لك أى عداء ، فالظروف وحدها جمعت بيننا ، في جزيرة الجحيم هذه .

ثم بهض في ببطء ، وقال :

— معذرة يا عزيزتى ، سنفرق الآن ، فليست مستعدا للدخول في صراعات جانبية .

فألها وألقى الأفعى بعيدا ، ولم تكدهى تسقط أرضا ، حتى أسرعرت تزحف مبتعدة ، وهى لا تصدق نجابتها من ذلك

الخصم ، الذى لم تستوعب ذاكرتها بعد ، أبشر هو كسابق
خصومها ، أم وحش رهيب من وحوش هذه الأعراس ؟
أما (أدهم) ، فقد عاد يسترخى عند جذع الشجرة ، وهو
يفهم :

— مازلت لم أعر بعد على الوسيلة المناسبة ؛ لعبور هذه
الساحة العارية

لم يكذب ينطقها ، حتى شعر بذلك الحيوان ، الذى يقترب
منه فى سرعة ، فالتفت إليه بجسده كله ..
وكانت المواجهة ..

* * *



٧ — أنياب ..

رفع واحد من حُرَّاس البوابة الخلفية للقلعة عينيه إلى
السماء ، يلقي نظرة سريعة على قرص الشمس ، الذى قطع
نصف رحلته ، من كبد السماء إلى الشفق الغربى ، ثم هز رأسه
وقال :

— ما الذى حدث هذه المرة ؟ إن مستر (هنتس) لم
يستغرق كل هذا الوقت لاصطياد طريدة من قبل .

هز الثانى كفيه ، وقال وهو يلتقط علبة سجائره :

— يقولون إن الطريدة هذه المرة هو نفس الرجل ، الذى
نجح فى الفرار من هنا سابقاً .

هتف الثالث :

— حقاً ؟

ثم التقط سيجارة قدّمها له الثانى ، وأضاف :

— لو أنه نفس الرجل ، فسيبذل مستر (هنتس) جهداً
خارقاً ، حتى يظفر به .

التفت إليه الأول ، وسأله وهو يشعل سيجارته :

— هل تعرفه ؟ .. هل كنت هنا عندما جاء سابقاً ؟

أوماً الثالث برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. إننى واحد من قلائل كانوا هنا ، قبل تغير الطاقم
بأكمله تقريباً ، ولقد شاهدت ذلك الرجل يفعل المستحيل .
ثم مال نحو زميله ، وكأنما يرغب فى إحداث أثر قوى
لكلماته ، قبل أن يضيف :

— لقد قتل ذنباً بيديه العاريتين . (*)

هتف الأول مشدوهاً :

— قتل ذنباً ؟!

ثم نفث دخان سيجارته ، وهو يستطرد :

— من حسن حظنا أننا لن نواجهه .

ارتفع من خلف أكمة قرية صوت أنثوى ساخر يقول :

— أو من سوء حظكم .

التفت الثلاثة إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، وبرزت

أمامهم (سونيا) فجأة ، ومسدها مصوب إليهم ، وهى
تستطرد :

— لأنكم لن تكونوا فى هذا العالم .

(*) راجع قصة (أرض الأوهال) .. المغامرة رقم (١٣) .

انطلقت من مسدها رصاصة صامتة ، اخترقت جمجمة
الأول ، فانزعج الثانى مسدسه ، وهتف :

— أيتها الله ..

ولكنها أخرسته برصاصة ثانية ، غاصت بين عينيه ، فى نفس
اللحظة التى صوب فيها الثالث مسدسه إليها ، صارخاً :

— ماذا فعلت أيتها الحقيرة ؟

ولكن (سونيا) قفزت جانباً ، ودار جسدها حول نفسه
دورة أفقية بارعة ، قبل أن تنطلق من مسدها رصاصة ،
اخترقت عنق الرجل ، الذى جمحت عيناه فى شدة ،
وانطلقت من صدره شهقة ، تحولت إلى ما يشبه الحوار ، قبل
أن يسقط على وجهه جثة هامدة ، قبل أن تنطلق من مسدسه
رصاصة واحدة ..

ولم تضع (سونيا) لحظة واحدة ..

لقد تجاوزت القتل الثلاثة إلى داخل القلعة ، وراحت تعبر
ممراتها فى سرعة ، حتى بلغت حجرة كبيرة ، توقفت عند بابها
فى حذر ، ثم دفعت الباب بقدمها فى عنف ، وقفزت داخل
الحجرة ، وهب ثلاثة رجال من مقاعدهم ، وارتفعت يدا
أحدهم فوق رأسه ، وهو يهتف فى رعب :

— إننا لسنا رجال قتال ياسيدتى .. أقسم لك .

ولكن (سونيا) لم تبال بقوله ، وإنما أطلقت رصاصات
مسدسها في سرعة ، وسقط الثلاثة عند قدميها جثثاً هامدة ،
فأعادت المسدس إلى حزامها ، وهي تقول في سخرية :

— أعلم أنكم لستم رجال قتال يارجل .. إنكم رجال علم .
وانتهت في هدوء إلى أجهزة الكمبيوتر ، التي كان الرجال
الثلاثة يجلسون أمامها ، وداعبت أزرار الأجهزة في سرعة ،
وعلى نحو يشق عن خبرتها في هذا المجال ، حتى بدأت
المعلومات المختزنة في التدفق على شاشات الأجهزة ، وراحت
هي تتابعها في اهتمام بالغ ، وهي تفهم :

— كان من الضروري أن أجد هذا .. كل وكر ضخم يمتلك
برنامجاً مماثلاً .

ثم دفعت أحد المقاعد أمام واحد من أجهزة الكمبيوتر
الثلاثة ، وجلست مستطردة :

— ينبغي أن أرتب ذهني أولاً ، قبل الشروع في العمل .. في
البداية سأحمو كل معلومات (سكوريون) ، فيما عدا هذا
البرنامج .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهي تضيف :
— وبعدها أعدّه للعمل .

وكانت ابتسامتها تحمل شيئاً عجيباً ..
ومخيفاً ..

* * *

انطلق كلب الصيد (جاوس) نحو هدفه ، الذي تحمل إليه
الرياح رائحته الواضحة ، التي لقنه سيده إياها ، وطالبه
بتعقبها ، مثلما يحدث في كل عملية صيد سابقة ..
وكأى كلب مدرب ، لم يصدر عن (جاوس) أدنى
صوت ، وهو يعدو نحو الهدف ..

وكلما اقترب من الهدف ، كانت الرائحة تصبح أقوى ..
ثم انقضّ (جاوس) على الهدف ..
وغرس أنيابه فيه ..

وسقط الهدف أمام (جاوس) ، الذي تراجع في حيرة ،
وقد بدا له الهدف عجيباً هذه المرة ، بالرغم من أنه يحمل نفس
الرائحة ..

كان عبارة عن قميص محشو بالأغصان الجافة ، بحيث يبدو
على هيئة رجل ..

وكانت هناك ثقوب رصاصات عديدة في القميص ..
كل هذا لاحظته (جاوس) في الثانية الأولى ..

ثم لم تكن هناك ثانية أخرى ..

لقد جذب (جاوس) — دون أن يدري — حبلًا من الأغصان القوية ، بانقضاضه على الهدف ، وهذا الحبل أسقط بدوره غصنًا حادًا كالرمح ، من أعلى الشجرة ، التي كان الهدف يرتكن إلى جذعها ، و ..

وغاص الرمح البدائي في جسد (جاوس) ، واخترق ظهره ، وألقاه أرضًا ..

وأطلق الكلب نباح ألم رهيب ، ثم سقط جثة هامدة ، إلى جوار قميص (أدهم) ..

ومن موقعه رأى (هتر) ما حدث ، وانطلقت من صدره صرخة قوية ، وهو يتف :

— (جاوس) !!

ثم اندفع بأقصى سرعته ، وسط الأحراش ، حتى بلغ جثة الكلب ..

ومن النظرة الأولى ، فهم (هتر) اللعبة كلها ..

وبكل المראה والأسى ، سقط على ركبتيه ، إلى جوار جثة الكلب ، وترقرقت الدموع في عينيه ، وهو يردد :

— (جاوس) .. لقد قتلك ذلك الرجل .. قتلك

يا (جاوس) ..

وفي هذه المرة لم يفهم (الدو) شخصية زعيمه أبدًا !! .. كيف يبكي أمام جثة كلب ، وهو الذي قتل عشرات الرجال بيديه ، دون أن ترتجف في جسده شعرة واحدة ، أو يتز في مشاعره عصب واحد ؟ ..

كيف يمكن أن يفعل !؟ ..

ولكن (الدو) اعتاد ألا يفهم زعيمه ..

وآلا يحاول ..

كل ما فعله هو أن التزم الصمت تمامًا ، حتى نهض (هتر) واقفًا على قدميه ، وقال في غضب :

— لن يفلت مني هذا الرجل أبدًا .. لقد قتل (جاوس) ..

ثم انعقد حاجباه في غضب هائل ، وتابع في هياج ، لم يشهد (الدو) مثيلا له من قبل :

— سننتقل خلفه يا (الدو) .. سنطارده حتى الموت ..

غمغم (الدو) :

— سنفعل بالتأكيد أيها الزعيم ..

أدار (هتر) عينيه حوله في توتر ، ثم خفضهما يفحص الآثار المتخلفة في المكان ، في حين التفت كلاهما الأربعة حول جثة زميلها ، تشتممه في حزن ، وتزجر في غضب ، فوجه (هتر) حديثه إليها ، قائلاً :

— مستقيم له يا صفارى .. أقسم أن نفعل .

لُحِيل لـ (ألدو) أن الكلاب قد فهمت ما يعنيه زعيمها ،
إذ رفعت قوائمها ، وراحت تضرب بها الهواء ، وكثرت عن
أنبيائها في شراسة ، وكأنما تعلن استعدادها لتحقيق قسم
صاحبها ، والانتقام لزميلها ..

وكمر شرس غاضب ، أدار (هتر) عينيه مرة أخرى في
المكان ، ثم رفع رأسه يقول :
— عجبًا !!

تردّد (ألدو) هذه المرة ، دون سبب مفهوم ، قبل أن
يسأله :

ماذا هناك ياسيدى ؟

أمسك (هتر) ذقنه بسبائه وإيhamه ، وهو يقول :
— لو أن هذا المصرى قد اتجه إلى الحاجز الغربى حقًا ،
لكانت هذه الآثار ..

لم يتم عبارة ، وإنما انهمك فجأة في تفكير عميق ، انتهى منه
بغلة ، وهو يتف :
— يا إلهى ! .. ياله من شيطان !

ثم انفت إلى (ألدو) ، وهتف :

— لقد خدعنا ذلك المصرى طيلة الوقت يا (ألدو) .. إن

هدفه لم يكن أبدًا الحاجز الغربى ، ولا حتى الشرق .. لقد دار
حولنا ، وترك في طريقنا بعض الآثار الحاذقة ، في حين كان
هدفه الحقيقى هو آخر هدف يمكن أن يخطر ببالنا .

وأشار بيده إلى نقطة تكاد لا تبدو ، من بين الأحراش ،
وهو يستطرد في انفعال جارف :

— القلعة .

وهنا ارتجف قلب (ألدو) ..

ارتجف بحق ..

* * *

التفت (أدهم) في سرعة ، يواجه ذلك الحيوان ، الذى
يتقضّ عليه ، من قلب الأحراش ، ولقد جاءت التفاتته في
الوقت المناسب تمامًا ، فقد تفادى بها وثبة الحيوان الأولى ،
ومخالبه الرفيعة الحادة ، التى عبرت أمام عينيه ، وتبعها فراء
الحيوان ، ورائحته الشبيهة برائحة المستنقعات ، قبل أن يهبط
على قدميه ، على قيد أمتار قليلة من (أدهم) ، ثم يلتفت إليه في
شراسة ، مكشّرًا عن أنيابه ، ومطلقًا صرخة حادة رفيعة ،
تجمع ما بين مواء القط وفحيح الأفعى ..

وهبّ (أدهم) واقفًا في تحفّز ، يواجه الحيوان بدوره ..

كان قطاً برياً جائعاً(*) ، في حجم كلب كبير ، والوحشية
تسيل مع الزبد بين شديقيه ، ومخالبه تضرب الأرض في عنف ،
وذيله الضخم يتطاير خلفه في توتر زائد ..

وفي حذر شرس ، راح القط البري يدور حول خصمه في
تحفّر ، في حين راح (أدهم) يستعدّ للهجوم بكل حواسه
أيضاً ..
ثم وثب القط ..

وفي هذه المرة قفز (أدهم) جانباً ، وضّم قبضته ، وهوى
بها على معدة الحيوان في لكمة كالقنبلة ..

وأطلق القط البري صرخة ألم ، وهو يسقط على قدميه ،
وزججر في غضب ، وهو يستدير لمواجهة خصمه مرة أخرى ..
ثم وثب بفتة ..

ومرة أخرى ، تلقاه (أدهم) بلكمة عفيفة في معدته ،

(*) القط البري : من فصيلة القطط ، يطلق عليه اسم (السنور) ، مخالفه
قوية قابلة للإتكماش ، يسمى إلى نفس العائلة ، مع الأسد ، والبر ،
والفهد ، والثمر الأمريكي ، والغومة .

أسقطته خلفاً ، وضربته في الأرض ، فأطلق صرخة ألم ثانية ،
وهب واقفاً على قدميه ..

وكان (أدهم) يشعر بقلق حقيقي ..

ليس بسبب القسط البري ، وإنما بسبب رجال
(سكوريون) ، الذين يقفون بعيداً ، والذين قد يلمحون
قتاله هذا ، ويدركون موضعه ، فيفسدون خطته ، ويضيعون
عامل المفاجأة ، الذي يعتمد عليه أشدّ الاعتماد ..

ولكن كمادة (أدهم) ، التي لم يفقدها مع فقدانه
الذاكرة ، ألقى عقله هذا القلق جانباً ، وتركّز مع الصراع
الحالي ..

صراعه مع القط البري ..

ولم يثب القط على خصمه بسرعة هذه المرة ، بل راح
يفحصه ويدرسه بنظرة جديدة ، مع ذلك الألم المنبعث من
موضع ضرباته في معدته ..

وكانت المفاجأة مذهشة ومخيفة بالنسبة للقط المسكين ،
عندما وثب (أدهم) نحوه ، عاكساً الأدوار ..

وبحركة مرنة سريعة ، أمسك (أدهم) ذيل القط ، وجذبه
إليه قائلاً في سخرية :

— إما أن تثب أنت ، أو أثب أنا يا صديقي .



وفجأة وجد القط نفسه يرتفع في الهواء ، ثم يرتطم بجذع الشجرة ..

وفجأة وجد القط نفسه يرتفع في الهواء ، ثم يرتطم بجذع الشجرة ، و (أدهم) يستطرد :
— المهم ألا نضيع الوقت .

ولم يضع القط البرى وقتا بالفعل ..
صحيح أنه كان يتصور جوعا ، إلا أن هذا لم يكن يكفى لدفعه إلى مهاجمة خصم ، له مثل هذا التفوق ؛ لذا فلم يكد (أدهم) يفلت ذيل القط ، ولم يكد هذا الأخير يسقط أرضا ، حتى انطلق يعدو بأقصى سرعة يمتلكها ، فأطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

— يا لعالم الحيوان !!

وفجأة ارتفع من خلفه صوت (هتتر) ، يقول :
— لقد صار شبيها بعالم البشر .. أليس كذلك ؟
وعندما استدار (أدهم) في سرعة ، كانت فوهة مستدس (هتتر) مصوبة إلى صدره ..
ومباشرة ..

٨ - وجهها لوجه ..

تسللت أشعة الشمس ، عبر نافذة مكتب (منى) ، لتغمر
الحجرة بضوئها ودفعها ، و (منى) تهتف فى اهتمام :

— إذن فقد لحق بك (هتر) .

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

— لقد كان واحداً من أبرع قصاصى الأثر ، الذين التقيت

بهم ، فى عمرى كله ، فعلت الرغم من كل وسائل التضييل التى
استخدمتها ، وكل الآثار الزائفة ، التى تركها خلفى ، أمكنه أن

يدرك أن هدفه الحقيقى هو القيام بدورة واسعة ، ثم العودة مرة

أخرى إلى القلعة ، إذ كانت المكان الوحيد ، الذى لا يتوقع

مخلوق منهم عودتى إليه ، بكل ما يحيط به من حراسة ووسائل

أمن .

قالت (سونيا) فى زهو :

— ولكننى نجحت فى دخولها .

رمقتها (منى) بنظرة ضيق طويلة ، فابتسمت فى سخرية ،

وقالت :

— أكان يمكنك أنت فعل هذا ؟

أجابتها (منى) فى حدة :

— بالتأكيد .

ثم استعادت رصانتها ، وهى تستدرك :

— ولكننى كنت سأستخدم حتماً وسائل مختلفة .

قالت (سونيا) فى برود :

— المهم هو بلوغ الهدف .

لم يرق هذا الحوار ، بكل ما يخفيه من استفزاز وعناد ،

لـ (أدهم) ، فقال فى حزم :

— كفى .

هزأت (سونيا) كسفيها ، والتقطت من حقيبتها سيجارة ،

أشعلتها فى عصبية واضحة ، ونفثت دخانها فى قوة ، ثم قالت :

— أظن أنه من العسير الحصول على كأس من الحمر هنا .

قال (أدهم) فى صرامة :

— ولا فى أى منزل ملتزم .

تطلعت إليه (سونيا) لحظة فى صمت ، ثم التفتت إلى

(منى) ، قائلة :

— أتعلمين أنه كان يرفض تماماً شرب الحمر ، حتى وهو

فالقذ الذاكرا ؟

قال (أدهم) :

— ما من رجل عاقل يقرب الخمر .

ثم أضاف في حزم :

— ولكن دعونا من هذا الآن ، ولنعد إلى قصتنا .

ابتسمت (سونيا) ، وقالت في استهتار :

— من العجيب أن أجد متعة في سماعها ، وقد عشت معظم

لحظاتها معك .

أجابتها (منى) في حدة :

— ومن العجيب أيضًا أن يأتي يوم ، تجلسين فيه في منزلي

كضيفة يا (سونيا) ، وعلى الرغم من هذا فأنا أحتمل الأمر ،

ويمكنك احتمال جزء خاص بك .

ومقتها (سونيا) بنظرة باردة طويلة ، ثم قالت في شيء من

الشماتة :

— لا بأس .. الاستماع إلى (أدهم) أمر ممتع دائمًا .

ثم أضافت في خبث :

— وبالذات في الليالي القمرية .

تفجرت غيرة (منى) ومرارها ، فأشاحت بوجهها في

توتر ، في حين عقد (أدهم) حاجبيه في صرامة ، وقال :

— أظن أن العودة إلى القصة ، أفضل من هذه السخافات .

قالت (منى) ، دون أن تلتفت إليه :

— بالتأكيد .

والثقت نفسها عميقًا ، وكأنها تحاول منع دموعها من

الانهمار ، قبل أن تستطرد :

— هل أطلق عليك (هنتر) النار مباشرة ؟

هز (أدهم) رأسه نفياً ، وقال :

— لا .. لم يكن هذا يمنحه المتعة الكافية .

سألته وهي تلتفت إليه في بقاء :

— ماذا فعل إذن ؟

اعتدل قائلاً :

— سأخبرك .

وعاد يروى ..

* * *

مضت لحظات من الصمت ، (و (أدهم) و (هنتر)

يتبادلان نظرة تحد طويلة ، في حين راحت كلاب الصيد الأربعة

تكشر عن أنيابها ، وتزجر في صوت منخفض ، وقد أنبأها

رائحة (أدهم) أنه نفس الشخص ، الذي تسبب في مصرع

زميلها ، وبذل (ألدو) أقصى طاقته للسيطرة عليها ، ومنعها

من الانطلاق ، (و (هنتر) يقطع جل الصمت ، قائلاً :

— هل أدركت الآن أنه ما من شخص يمكنه أن يربح لعبة

صيد ، مع (هنتر) ؟

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال في هدوء :

— ولكنت لم تنظر في بعد يا (هتر) .

أجاب (هتر) في حدة :

— كل ما يحتاج إليه الأمر ، هو ضغطة واحدة على الزناد .

ابسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— اضغطها إذن .

هز (هتر) رأسه نفياً ، وقال في حزم :

— لا يارجل .. لم يكن الوقت بعد ، فلصغاري ثأر عندك .

ألقي (أدهم) نظرة لامبالية على الكلاب الأربعة

الضخمة ، وقال في استهتار ساخر :

— صفارك ؟ .. لقد أدركت الآن إلى أية فصيلة تنتمي

يا (هتر) .

قال (هتر) في حدة :

— سأمنحك مزيداً من الثقة إذن .

ثم التفت إلى (الدو) ، هاتفاً :

— أطلق (ترميناتور) .

وعلى الفور ، حل (الدو) طوق أحد الكلاب الأربعة ، وصاح :

— انطلق .

وانطلق كلب الصيد الشرس نحو (أدهم) ..

ولكن (أدهم) لم يتحرك من مكانه ..

لقد بقي ثابتاً ، جامداً ، كتمثال يعقد ساعديه أمام صدر

قوى ، دون أن يهتز في رأسه شعرة واحدة ..

حتى وثب (ترميناتور) ..

في هذه اللحظة فقط قفز (أدهم) جانباً ، متجاوزاً

انقضاضة الكلب ، ثم امتدت يده تتعلق بغصن قوى ، من
أغصان شجرة قريبة ، وكسره بقبضة فولاذية ، ثم حمله بيديه ،
واستدار يواجه (ترميناتور) مرة أخرى ..

وتوقف (ترميناتور) في حذر ، وكثر عن أنيابه ، ثم

تراجع خطوة أو خطوتين ، دون أن يرفع عينيه عن

(أدهم) ..

وفجأة ارتفع صوت (هتر) يهتف :

— اهجم يا (ديستروير) .

وانبثقت أذن (أدهم) وقع قوائم الكلب الآخر ، الذي

انفلت من طوقه ، وانطلق مكشراً عن أنيابه نحوه ..

وفي نفس اللحظة ، انقض (ترميناتور) ..

وانحنى (أدهم) متفادياً وثبة (ترميناتور) ، ولكنه شعر

بمخالب هذا الأخير تمزق ظهره ، ورأى بطرف عينه

(ديستروير) ينقض عليه بدوره ، فأدار فرع الشجرة

المكسور في يديه ، وتلقى به (ديستروير) كرمح مشهور ..

ورددت الأحراش نباح الألم ، الذي أطلقه

(ديستروير) ، عندما اخترق الغصن معدته ، مختلطاً بصرخة

ذعر أطلقها (هتر) ، وهو يشاهد مصرع ثلثي كلابه في يوم

واحد ..

وبكل الغضب والثورة ، استدار (ترميناتور) ينقض مرة

أخرى على (أدهم) ، وفي هذه المرة استطاع أن يظفر به ،

ففرس أنيابه في ذراعه ، وضرب صدره بمخالبه ..
وتصاعد الألم إلى رأس (أدهم) ، إلا أنه قاومه ببسالة ،
وهوى على حجرة الكلب بلكمة كالقنبلة ..
وصك صوت تحطم حجرة (ترميناتور) مسماع
(هتتر) ، فأطلق صرخة لوعة نالكة ،
وصرخ :

— انطلق يا (فاير) .. اقله يا (كيلر) .
وهنا أطلق (الدو) الكليلين الباقيين ، فانطلقا نحو
(أدهم) ، وعبرا جسد (ترميناتور) ، الذي يطلق عواء
متصلاً مختقاً ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وغرسا أنيابهما
ومخالبهما في جسد (أدهم) ..
وبكل قوته ، راح (أدهم) يضرب الكليلين بقبضتيه ،
ويدفعهما بقدميه ، و (هتتر) يصرخ :

— اقتلاه .. مرقاه إرباً .
وعلى الرغم منه ، أخذ (أدهم) يتراجع أمام ضربات
المخالب والأنياب ، وقد انخنته الجراح ، وتغطى جسده بخيوط
دمه النازف ..
وأدرك (أدهم) أنه لن يحتمل هذا الهجوم المزدوج
طويلاً ، وأن عليه أن يجذب الكليلين بعيداً عن صاحبهما أولاً ،
فاستجمع قوته ، ودفعهما عنه بضربة قوية ، ثم انطلق يعدو في
اتجاه الغرب ..

وصرخ (هتتر) :

— اتبعاه .. لا تتركاه يفلت منكما .

وانطلق الكليلان خلف (أدهم) ، وقد زادتهما رائحة
دمائه شراسة ووحشية ..
ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة ..
فهناك .. عند القلعة ، لمح أحد رجال (هتتر) تلك
المطاردة المثيرة ، فهتف بزميله :

— انظر .. هناك .. إنه ذلك الأسير .. إنه يعدو أمام اثنين
من كلاب (هتتر) .
ثم التقط بندقيته ذات المنظار المقرب ، ووضعها فوق
عينيه ، وصوبها إلى (أدهم) ، وهو يستطرد في انفعال :

— أراهنك أن مستر (هتتر) سيدفع مكافأة كبيرة ، لمن
يوقف هذا الرجل .
قال زميله في لامبالاة :

— ولكن حذار أن تقتله ، فمستر (هتتر) يحب أن يحتفظ
لنفسه دائماً ، بهذا الفصيل الأخير .
ابتسم صاحب البندقية في سخرية ، وقال :

— اطمئن .. سأكتفى برصاصة في عاموده الفقري
فحسب ، كما فعلت مع ذلك الأسير الياباني منذ شهرين .
قافا ومنظاره ينقل إليه صورة (أدهم) ، وعموده الفقري
يتوسط الخططين المتقاطعين ، في منتصف هدف الإطلاق
بالضبط ، فاستطرد الرجل :

— ستكون مكافأة ضخمة حتماً .

وضغط الزناد ..

* * *

في الحرب العالمية الثانية ، قال القائد الأمريكي الشهير (ماك آرثر) مقولته الأشهر :

— في زمننا هذا أصبح للوقت دور بالغ الضخامة ، في جسم الكثير من المعارك والصراعات ، ففي الحروب ، قد تكون ثانية واحدة ، هي الفاصل بين الهزيمة أو النصر ، والموت أو الحياة ..

وفي موقفنا هذا لايسعنا إلا أن ننقل مقولة (ماك آرثر) ، إذ أنها أكثر ما يصلح تمامًا ما حدث ..
ففي نفس اللحظة ، التي ضغط فيها الرجل زنناد مسدسه ، حدث الانفجار ..

انفجار من داخل القلعة ، نصف الباب الذي يقف أمامه الرجل ، فارتطم الباب بالرجل ، وأطاح به معه ، وانطلقت الرصاصة في الهواء ، بعيدًا عن (أدهم) ..
ثم توالى الانفجارات ..

انفجارات عديدة مختلفة ، في أماكن متباعدة من القلعة ..
وساد ارتباك هائل ..

كل رجال (سكوريون) أصابهم الذعر ، وراحوا يتخبطون ، ويطلقون رصاصات مدفعهم في كل مكان ، دون أن يدركوا من خصومهم ، ومن أين يأتي الهجوم ..

(هتتر) نفسه أصابه الذهول ، وهتف :

— اللعنة ! .. ماذا يحدث هناك ؟

صرخ (ألدو) في ارتياح :

— إنه هجوم .. هجوم شامل .

ثم أمسك ذراع زعيمه ، وصرخ :

— أسرع ياسيدى .. أسرع .. لا بد لنا من بلوغ حظيرة

الطائرات ، لنفّر من الجزيرة .

صاح به (هتتر) في صرامة :

— لا .. ليس قبل أن أقتص ذلك المصرى .

صرخ (ألدو) :

— لا وقت ياسيدى .. صدقنى .. لا وقت .

صاح به (هتتر) غاضبًا :

— اذهب أنت إلى الجحيم .

تردّد (ألدو) لحظة ، ثم لم تلبث غريزة البقاء في أعماقه أن

هبت واستيقظت ، فدار على عقبيه ، وانطلق يعدو مزعًا

الفرار ..

أما (أدهم) ، فلم يكذب يسمع أصوات الانفجارات ،
حتى أدرك أن شيئاً ما يحدث لصالحه ، فهتف :

— هيا يا (أميجو) .. إنها فرصة نادرة للنجاة .

وانحرف بحركة حادة ، وأبدل اتجاهه ، من الغرب إلى
الجنوب ، وانطلق يعدو بكل قواه عبر المنطقة العشبية العارية ،
في اتجاه القلعة ، مستغلاً حالة التوتر ، التي أربكت الجميع ،
وستمنعهم حتماً من مواجهته ..

وانطلق خلفه كلبا الصيد (فاير) و (كيلر) ..

وعلى الرغم من سرعة عدو (أدهم) المدهشة ، راحت
المسافة بينه وبين الكلبين تقصر وتقصر ..

وفجأة انقضَّ (كيلر) على ظهر (أدهم) ، وأنشَب فيه
مخالبه وأنيابه ..

وسقط (أدهم) على وجهه ..

ووثب فوقه (فاير) بدوره ..

ومرة أخرى راحت المخالب والأنياب تضرب جسد
(أدهم) بلا رحمة ، وتمزَّق جلده ..

وسالت دماء البطل ..

وفجأة ارتفع صوت (هتر) الأمر يقول :

— كفى .

وعلى الفور توقَّف الكلبان ، كما لو أنهما آلة انقطعت عنها
أسلاك التيار الكهربى بغتة ، وتراجعا عن جسد (أدهم) ،
ليبرز من خلفهما وجه (هتر) ، وهو يرفع بندقيته ذات المنظار
في وجه (أدهم) ، ويقول في صرامة :

— انتهت المطاردة يا رجل .

كان من الواضح أنه لا يزال بالانفجارات في القلعة ..

بل لا يزال حتى بدمار المنظمة كلها ..

لقد أصبح الهدف الوحيد ، الذي يسعى إليه ، هو مصرع
(أدهم) ..

أما (أدهم) نفسه فقد كان في أسوأ حالاته ..

لقد نَزَف الكثير من دمائه ، واستهلك معظم طاقته ، ولم
يعد قادراً على الفرار من رصاصة صياد ماهر مثل (هتر) ..

وبكل مقته وكراهيته ، صَوَّب (هتر) فوهة بندقيته إلى
صدر (أدهم) ، وقال :

— أخيراً سأظفر بك يا رجل .. أخيراً سأحقِّق ما عجزت
عنه أنظمة المخابرات في العالم أجمع .. إن ملفك ، الذي أحفظ

به ، سيحوى في النهاية شهادة وفاتك ، بتوقيع (هتر) ..

غمغم (أدهم) في تهالك :

— هل تمتلك ملفاً كاملاً عني ؟ .. ما اسمي الحقيقي
إذن ؟ .. أخيراً .

انتهت سبابة (هنتر) نحو زناد البندقية ، وهو يقول :
— سأخبرك يا رجل .. سأخبرك من أنت ، ثم أطلق النار
على رأسك مباشرة ..
إن اسمك ، الذي ترتجف له كل أنظمة المخابرات والجريمة في
العالم هو ..

لم يكمل (هنتر) الجواب ..
ولم يضغط زناد بندقيته ..

حتى (أدهم) لم يسمع صوت الرصاصة ..
لقد فوجئ بـ (هنتر) يتر حديته بغتة ، ورأسه يندفع إلى
الأممام بحركة حادة ، ثم تسع عيناه ، ويترشح جسده ، وتسقط
البندقية من يده ، ثم يسقط هو على وجهه ، وتندفع من مؤخرة
عنقه نافورة من الدم ..

ومع سقوطه ظهر خلفه جسم (سونيا) ، والمسدس المزود
بكاتم الصوت ، الذي تمسك به ، والدخان يتصاعد من
فوهته ، ومن نظرتها المثلثة بغضاً وكرهية ..

واستدار (فاير) و (كيلر) يواجهان (سونيا) في ثورة ،
بعد أن قتلت سيدهما برصاصة في مؤخرة رأسه ، ولكن



ليبرز من خلفهما وجه (هنتر) ، وهو يرفع بندقيته ذات المنظار في وجه
(أدهم) ، ويقول في صرامة : — انتهت المطاردة يا رجل ..

(سونيا) أدارت فوهة مسدسها إليهما ، وأطلقت منه
رصاصةين صائتين ، صرعا الكليين على الفور ..
وبكل لفتها وحبها ، اندفعت (سونيا) نحو (أدهم) ،
وانحنت عليه هاتفة :

— هل وصلت في الوقت المناسب ؟

غمغم (أدهم) :

— نعم .. لقد فعلت ..

هتفت في ارتياح :

— يا إلهى !! .. إنك مصاب بشدة ..

تجاهل هذا ، وهو يتحامل على نفسه لينهض ، قائلا :

— ما الذى يحدث عند القلعة ؟ .. إننى أسمع انفجارات

عديدة .. أهو هجوم ..

أجابته في حسم :

— أنا التى وضعت هذه القنابل ..

هتف في دهشة :

— أنت يا (نورما) ؟

ثم توقف يسأها :

— ولكن أخبرينى .. كيف وصلت إلى هنا ؟

قالت وهى تحك على الإسراع :

— إنها قصة طويلة ، سأخبرك بها فيما بعد .. المهم الآن
أننى أحفظ بزورق بخارى عند الشاطئ ، وعلينا أن نبلغه في
سرعة ..

كانت آلامه تفوق ما يمكن أن يحتمله رجل عادى ، إلا أنه
راح يعدو إلى جوارها نحو الشاطئ ، عبر الأحراش ، وهو
يسأها :

— هذا الرجل يقول إن لديه ملفا كاملا عنى ، وإن كل
أجهزة المخابرات والمنظمات تسعى خلفى ، وتحاول قتل ، فما
الذى يعنيه هذا ؟

أجابته :

— إنك لست بالرجل العادى يا عزيزى (موسى) ..

مرة أخرى لم يشعر بالارتياح ، لأنها تخاطبه باسم (موسى)
حاييم دزرانيل (هذا ..

صحيح أنه يذكر الاسم جيّدا ، ولكنه لا يشعر أبدا أنه
اسمه (*) ..

وبسرعة نقل إليها إحساسه هذا ، وهو يسأها في ضيق :

— أأنت والقة من أن هذا هو اسمى الحقيقى ؟

(*) راجع قصة (الجليد المشتعل) .. المغامرة رقم ٦٥

شعرت بقلقه وتوتره ، فأسرعت تحجب :

— بالتأكيد يا عزيزي ، ولكنك لم تستخدمه كثيرًا ، ولم تعد تستخدمه منذ فترة طويلة .

ثم استطردت في هفة مفتعلة :

— والآن هيا .. أسرع .. الوقت أضيق من أن نضيعه في

نقاش كهذا .

واصلتا عدوهما ، حتى بلغا ذلك الزورق ، الذي تركته عند الشاطئ ، وقد بلغ إعياء (أدهم) مبلغه ، فعاونته على ركوب الزورق ، ثم أدارت المحرك ، وانطلقت مبتعدة عن (تيور) ، هاتفة في زهو ظافر ..

— لقد انتصرنا يا (تيور) .. انتصرنا على أسطورتك

كلها ..

ومن خلف الزورق ، دوى انفجار هائل ..

انفجار بدأ ينسف القلعة كلها دفعة واحدة ..

ثم راح ينسف الجزيرة آتعة وراء قطعة ..

واعتدل (أدهم) هاتفا في دهشة :

— ما هذا ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة ظافرة ، وهتفت :

— إنه أحد برامجهم الدفاعية ، المختزنة في أجهزة الكمبيوتر

يا زوجي العزيز ..

برنامج معدّ لنسف الجزيرة كلها ، إذا ما حاق بها خطر داهم ، لاسيلا لصدده ..

— لقد صنعت خطرا وهيبا ، خدعت به أجهزة الكمبيوتر ، فانتقلت لتنفيذ خطة التدمير الشاملة على الفور ، وكل الانفجارات السابقة ، وحتى الآن ، مجرد خطوات زمنية مدروسة للخطة ..

هتف (أدهم) في غضب :

— ولكنك أرققت نهرا من الدماء ..

لوححت بذراعها هاتفة :

— فليكن ، مادام ذلك النهر قد جرف معه كل الخطر مع آخر حروف كلماتها دوى الانفجار الأخير ..

وانتهى آخر جزء من جزيرة (تيور) ، معقل منظمة (سكوريون) ..

ولم يعد هناك وجود لها على الخرائط ..

أو حتى على الخيط ..

قفزت (منى) من مقعدها ، هاتفة :

— يا إلهي ! .. لقد بلغنا أمر نسف جزيرة (تيور) وغرقها

بالفعل ، ولكننا لم نتصور أبدا أنك خلف هذا يا (أدهم) .
أشارت (سونيا) إلى صدرها في زهو ، وهي تقول :
— بل أنا كنت خلف هذا .. أنا أزلت (تيرور) من
الوجود .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردة :
— لأحبي من أحب .

تطلع إليها (أدهم) بنظرة باردة ، وقال :
— أكان هذا هو هدفك حقاً ؟

أجابته في لهجة أدهشت (منى) وأثارت غيبتها ؛ لفرط
ما حملته من صدق وحب وإخلاص :
— أقسم لك أنه كان هدفي بالفعل .

والنقطة نفساً عميقاً من سيجارها ، وهي تستطرد :
— عندما راجعت أجهزة الكمبيوتر ، علمت أن (هتر)
لم يكن قد أبلغ خبر وجودك على قيد الحياة لأحد بعد ، ويدور
أنه كان ينتظر أن يقتلك أولاً ، ولهذا كان على أن أمحو برنامج
(تيرور) ، بكل ما يحويه من معلومات عنك ، ثم أنسف
الجزيرة كلها ، حتى أحافظ على سر وجودك .

قال (أدهم) في ضيق :

— كان هذا تفكيراً أنانياً محضاً .

هفت مدافعة عن منطقها :

— كل المحبين مفرطون في الأنانية ، فالأنانية هي الغريزة
الطبيعية ، في أعماق الجميع .. هي غريزة التملك ، وحب
البقاء ، وحتى غريزة الجوع .. كل غرائز الإنسان ذات طبيعة
أنانية ، مهما حاول إنكار هذا .

هفت (منى) محتجة :

— فيما عدا الحب .

أجابتها (سونيا) :

— بل الحب هو أكثر المشاعر أنانية ، حتى من يتصورون
أنهم يضخون من أجل من يحبون ، يفعلون هذا من منطلق
الأنانية ، فهم — دائماً — من الطراز الذي يسعده الإحساس
بالتضحية ؛ لذا فهو يضحي بسعد ذاته ، وهذه أنانية ، ولكنها
مثل أقراص الدواء ، مغلفة بالسكر .

قال (أدهم) في ضيق :

— احتفظي بفلسفتك لنفسك يا (سونيا) .

أجابته في استسلام :

— كما تأمر يا زوجي العزيز .

ابتلعت (منى) مرارتها مع لعابها ، عندما سمعت (سونيا)
تخاطب (أدهم) بهذا اللقب ، وأرادت الفرار من الموقف

كله ، فقالت :

— إذن فقد نجحتما في الفرار من (تيور) ، وتجاوزتما
الخطر .

هزت (سونيا) رأسها نفياً ، وقالت :

— لا .. لم يكن الخطر قد انتهى بعد .

سألها (منى) :

— لماذا ؟ .. ألم يتم نصف الجزيرة كلها ؟

اجتمعت (سونيا) في زهو ، وقالت :

— هذا صحيح ، ولكن بقي خطر واحد .

سألها :

— ما هو ؟

اعتذلت (سونيا) مقلدة (أدهم) ، وهي تقول :

— سأخبرك أنا هذه المرة ..

لم يكن — في الوجود كله — من هو أكثر سعادة من

(سونيا جراهام) ، وهي تقود الزورق عائدة إلى

(المكسيك) ، بعد نصف (تيور) ..

لقد انتصرت ، واستعادت من تحب ، وضمنت إخفاء سره

عن الجميع ، ليبقى لها وحدها ..

صحيح أن (أدهم) مشغن بالجراح ، وأنه يرقد على سطح
الزورق ، في حالة أقرب إلى فقدان الوعي ، ولكنها تعلم أن
جسده القوى سيقاوم هذا ، وسيحمل ما فقدته من دماء ،
حتى تبلغ الشاطئ ، وتنقله إلى أقرب مركز إسعاف أو
مستشفى ..

ونقودها ستضمن بقاء الأمر سراً ..

إنها تعلم سحر النقود ، وخاصة في بلد نام ، مثل
(المكسيك) ..

وفجأة قطع أفكارها ذلك الهدير ..

هدير مروحة هليكوبتر تقترب في سرعة من الزورق ..

وعندما رفعت (سونيا) رأسها إلى أعلى ، أدركت طبيعة

الخطر على الفور ..

لقد كان (ألدو) ..

آخر من بقي من (تيور) ، داخل هليكوبتر مزودة

بمدفعين آليين ، انهمرت منهما الرصاصات نحو الزورق ..

كان انتقام آخر العقارب ..

١٠ - المطاردة ..

ضغط (ألدو) زر إطلاق مدفعي المليونكوتير في بغض هائل ، وهو يتنف في غضب :

— فلتنذهبا إلى الجحيم .. لن يبقى حيًا من نفس منظمة (سكوريون) كلها .

انقضّ بالمليونكوتير ، ممطرًا الزورق برصاصات مدفعية ، ولكن (سونيا) راوغت بالزورق في مهارة ، فأصابته رصاصاته سطح الغيط ، إلى يمين الزورق ، فعاد يرتفع قائلاً : — ناورى كما يحلو لك أيتها اللعينة ، ولتر من يربح في النهاية .

كانت (سونيا) تبذل أقصى جهدها لتناورة المليونكوتير ، ولكنها كانت تعلم أن مناوراتها لن تمضي إلى الأبد ، وأن (ألدو) سينجح في إصابة الزورق ، إن آجلاً أو عاجلاً ، فهتفت في غضب :

— اللعنة ! .. لماذا لم تمت مع الآخرين أيها الوغد ؟

جاوبها (ألدو) بسيل من الرصاصات ، أصاب بعضه مقدمة الزورق ، فصرخت (سونيا) في ذعر :

— أيها الحقير .

وفجأة شعرت بيد (أدهم) على كتفها ، وسمعت يأساً لها في حزم ، على الرغم من الإعياء الشديد ، الذي يكسو وجهه وملاحمه :

— ألدك سلاح نارى ؟

هتفت في قلق :

— ولكنك تكاد تسقط فاقد الوعي يا عزيزى .

كرّر في صرامة :

— ألدك مسدس ؟

ناولته مسدسها في سرعة ، وهي تقول في توتر :

— ها هوذا ، ولكنه لا يحوى سوى رصاصتين .

قال في حزم :

— ينبغي أن نحسن استغلالهما إذن .

تضاعف قلقها ، عندما رآته يتجه إلى مؤخرة الزورق ، وهو يترشح من فرط الإعياء والضعف ، وتوقفت عن المناورة ، خشية أن تسقطه عن سطح الزورق ، وغمغمت في توتر بالغ ، عندما رأت المليونكوتير تدور من بعيد ، استعداداً للانقضاض مرة أخرى :

— لا بد أن تنجح هذه المرة يا (أدهم) .. لا بد .



ورأى (أدهم) الهليوكوبتر تنقضّ عليه ، ولكن قلبه لم يشعر بالخوف ..

أما (ألدو) ، فقد رأى (أدهم) واقفاً في مؤخرة الزورق ، بصدرة العارى ، الذى تغطى بحیوط عدة من الدم ، فاشتعل غضبه أكثر وأكثر ، وصرخ :
— أحسنت أيها المصرى .. سأمزقك برصاصاتي إربا .
ثم انقضّ بالهليوكوبتر ، صارخاً :
— الويل لك !!

ورأى (أدهم) الهليوكوبتر تنقضّ عليه ، ولكن قلبه لم يشعر بالخوف ، وإنما نفّس جسده كل ما يشعر به من إعياء وإرهاق ، وتجمّدت عضلاته كلها ، وبدت عيناه أشبه بعيني صقر ، وهو يحسك مقبض المسدس بقبضته ، ويصوّبه إلى الهليوكوبتر فى إحكام ..

واقتربت الهليوكوبتر ..
اقتربت أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..
ومن داخلها هتف (ألدو) :
— استعد للانتقال إلى الجحيم أيها المصرى ..
وامتدّ إبهامه إلى زرّ الإطلاق ، أعلى عصا القيادة ..
ولكن (أدهم) أطلق رصاصته أولاً ..
أطلقها نحو رأس (ألدو) تماماً ، الذى يبدو واضحاً ، من

خلف زجاج واجهة الهليوكوبتر ..

وارتطمت رصاصة (أدهم) بزجاج الهليوكوبتر ..
وأصاب الموضع المنشود تمامًا ..
وجذب (ألدو) عصا القيادة بصورة غريزية ، وهو
يصرخ :
— لا .

ولكن الرصاصة لم تخترق زجاج الهليوكوبتر ..
لقد ارتطمت به ، وارتدت عنه في عنف ، ولكن
الهليوكوبتر نفسها ارتفعت إلى أعلى ، مع جذب (ألدو) لعصا
القيادة ، وهتف (ألدو) في فرح :
— يا إلهي ! .. هذا صحيح .. كيف نسيت الأمر ؟ .. إن
زجاج الهليوكوبتر من ذلك النوع المضاد للرصاص .
أطلق ضحكة شيطانية طافرة ، وصنع دورة واسعة
بالحليوكوبتر ، وهو يصرخ :

— لقد خسرت أيها الشيطان المصري .. أما أنا ، فلن أخسر هذه
المرة .. صدقي .. آخر ما ستراه في حياتك الحافلة هو هذه
الهليوكوبتر ، وهي تنقض عليك .. عاد يطلق ضحكاته الشيطانية
الرهيبة ، واستدار ، لينقض على الزورق انقضاضه الأخيرة
الحاسمة ..

وإلى الزورق هتفت (سونيا) في هلع :

— لا فائدة .. إنك لم تعد تمتلك سوى رصاصة واحدة ،
وزجاج الهليوكوبتر مضاد للرصاصات كما رأيت ، وخزان
الوقود في هذا الطراز ميمك ، يصعب اختراقه برصاصة
واحدة ، من مسدس كهذا .

لم يجب (أدهم) ..
لم يد حتى أنه سمعها ..
كانت حواسه كلها متجهة نحو الهليوكوبتر ..
ونحو الرصاصة الوحيدة في المسدس الذي يحمله ..
ومرة أخرى تكرر المشهد ، و (ألدو) ينقض على الزورق
صارحاً :

— إلى الجميع أيها المصري .
وقفز إيهامه ؛ ليضغط زر الإطلاق ..
وفي هذه المرة أيضًا ، ضغط (أدهم) زناد مسدسه أولاً ..
ولكن الرصاصة لم تنطلق نحو زجاج الهليوكوبتر ..
ولا نحو خزان الوقود ..
لقد انطلقت نحو نقطة صغيرة في ذيل الهليوكوبتر ، لا يقدر
على إصابتها سوى رجل خارق في إصا الهدف ..
أو رجل المستحيل ..

وعندما أصابت الرصاصة هذه النقطة ، حطمت ترمزًا

صغيراً ، فانفصلت المروحة الخلفية للهليكوبتر في عنف ..

وفقدت الهليكوبتر توازنها بغتة ..

فقدته وراحت تدور حول نفسها في عنف ، و (ألدو)

داخلها يصرخ :

— ماذا فعلت أيها الشيطان ؟ .. ماذا فعلت ؟

وبسرعة ، وقبل أن يضيع الوقت ، التقط (أدهم) وعاء

الوقود الاحتياطي للزورق ، وألقاه بكل ما تبقى له من قوة نحو

المروحة العلوية للهليكوبتر ، بعد أن انخفضت الطائرة كثيراً ،

واقتربت من سطح المحيط ..

وارتطمت المروحة بالوعاء ..

وتحطم وعاء الوقود ..

وتطايرت أجزاء المروحة المعدنية ..

ومع احتكاك الأجزاء المعدنية المتطايرة ، كانت هناك

شرارة نارية واحدة ..

واشتعل الوقود ..

وكان الانفجار ..

انفجرت الهليكوبتر براكبها كقبيلة هائلة ، وتطايرت

شظاياها في عنف ..

وانتزع الانفجار (أدهم) عن سطح الزورق ، وألقاه في

المحيط ، وصرخت (سونيا) :

— لقد نجحت يا (أدهم) .. لقد نجحت ..

أدركت فجأة أنها قد أخطأت ، ونطقت باسمه الحقيقي ،

ولكن صوت الانفجار طغى على هتافها ، فتهدت في ارتياح ،

وأسرعت توقف الزورق ، ثم اندفعت نحو الجهة التي سقط فيها

(أدهم) ..

وهناك ، كان (أدهم) يضرب الماء بذراعيه ، بكل

ما تبقى له من قوة ، ليسبح عائداً إلى الزورق ..

ولكن قلب (سونيا) سقط بين قدميها ..

لقد رأت ما لم يره (أدهم) ..

فهناك ، على بعد أمتار قليلة ، كانت هناك زعنفه سوداء

بارزة ، تسبح نحو (أدهم) ..

زعنفه لسمكة من أسماك القرش القاتلة ..

لم تكن هناك رصاصة واحدة ..

أو حتى خنجر ..

وكان جسد (أدهم) ينزف ..

وأسماك القرش ، كما تعلمون ، تمتلك حاسة شم قوية ،

وخاصة بالنسبة للدم ، الذى تثيرها رائحته ، وتصيبها بالشراسة
والجنون ..

حتى عندما تصاب سمكة قرش أخرى بجرح ، تنقض عليها
الأسماك الأخرى ، وتلتهمها بلا رحمة ..

و (أدهم) مرهق متعب ، كما لم يكن من قبل ..
وصرخت (سونيا) فى انهار :

— سمكة قرش .

استدار (أدهم) فى سرعة ، ورأى الزعنف السوداء تشق
الماء نحوه فى سرعة ..

وهنا انطلقت تلك المعجزة ، الكامنة فى عقل (أدهم) ..
لم يكذب يواجه الخطر ، حتى أطلق عقله كل طاقته دفعة
واحدة ، وأزاح التعب والإرهاق جانباً ، ولكز الغدة فوق
الكلى ، فأطلقت كل مخزونها من (الأدرينالين) ، ودفعته فى
عروق (أدهم) وخلاياه ، فانطلقت طاقاته الكامنة من
عقالها ..

وفى جزء من الثانية ، تحول الرجل المرهق منهك إلى
شخصية أخرى ، تموج بالنشاط والقوة ..

وعندما بلغ القرش موضع الزورق ، وفتح فكاه عن
آخرهما ، ليطبقهما على ضحيته ، كانت هذه الضحية قد

غاصت إلى الأعماق ، وتركت القرش يُطبق فكاه على الماء
فحسب ..

وبسرعة تنافس الأسماك ، دفع (أدهم) ذراعيه وساقيه ،
وسبح أسفل الزورق ، ثم برز من جانبه الآخر ..

وغاصت سمكة القرش خلفه ، وفتحت فكها لتطبقهما على
ساقيه فى غضب ، ولكنه أمسك حافة الزورق بقيضيه ،

وانقبضت عضلاته كلها ، ودفع جسمه إلى أعلى فى قوة ، فى
نفس اللحظة التى أطبق فيها القرش فكاه على حذائه ..

وغاص القرش فى المحيط مهزوماً مدحوراً ، وقد خسر
ضحيته ، فى حين احتضنت (سونيا) (أدهم) فى لفة
وسعادة ، هائلة ..

— يا إلهى ! .. لقد نجوت يا (أدهم) .. لقد نجوت .
ولكنها لم تتلق جواباً ..

لقد استفد الصراخ الأخير كل طاقات بطلنا ..
فسقط ..

سقط فى هوة عميقة ..

التقطت (سونيا) نفساً عميقاً من سيجارتها ، ونفثت الدخان في اتجاه (منى) ، وهى ترمقها بنظرة أنثوية مستفزة ، قائلة : — بعدما فدت الزورق حتى ساحل (المكسيك) ، حيث تم إسعاف زوجى العزيز (أدهم) ، وتضميد جروحه ، ثم نقلته بطائرة خاصة ، إلى أكبر مستشفى فى (كيواوا) ؛ ليقضى هناك فترة النقاهة .

لم تستطع (منى) إخفاء ضيقها ، وهى تقول : — من يصدق هذا ؟ .. أنت يا (سونيا) تسعفين (أدهم) ، وتبذلين قصارى جهدك لإنقاذ حياته ، بعد كل محاولتك السابقة لتدميره والقضاء عليه ؟! عقد (أدهم) حاجبيه فى ضيق ، وهو يتطلع عبر النافذة فى صمت ، فى حين هزّت (سونيا) كتفها ، قائلة : — كل امرأة تفعل كل ما يمكنها ، عندما تحب . كادت (منى) تصرخ فى وجهها .. كادت تهتف بأنها أيضا تحب ..

تحب نفس الرجل ..

نفس الحبيب ..

ولكنها لم تستطع ..

اختنقت الكلمات فى حلقها ..

ماتت على طرف لسانها ..

ذابت على شفتيها ..

لم تكن قادرة على تصديق ما حدث ..

كيف أدار القدر هذه اللعبة العجيبة ؟ ..

كيف دفع (أدهم) بين ذراعى عدوته اللدود ، ليجعل

منها حية وزوجة ؟ ..

كيف ؟ ..

انتزعها (سونيا) من شرودها وأحزانها ، وهى تقول :

— ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد .

رفعت (منى) عينيها إليها ، وسألتها فى خواء :

— هل هاجمكم رجال (كال) ؟

هزّت (سونيا) رأسها نفياً ، وقالت :

— لم يعد هناك رجال يتبعون (كال) ، فكل هؤلاء مجرد

مرتزقة ، يعملون لحساب من يدفع أكثر ، وتدمر (تيروز) ،

وتحطم رأس (سكوريون) ألقاهم إلى الشنات ، فارتبكوا ،

وانفلك عقدهم ، وذهبت ربحهم .

سألتها (منى) :

— لماذا تقولين إن الأمر لم ينته إذن ؟

اعتذلت (سونيا) في مقعدها ، وقالت :

— لأننى كنت أريد الأمن والأمان فى (كيولوا) ، مع

(أدهم) ، بعيدا عن أية منغصات ، وأية مخاطر ، قد تؤدى إلى استعادته ذاكرته .

سألتها (منى) ، وقد تلبدت مشاعرها تقريرا

— وماذا فعلت ؟

اجتمعت (سونيا) فى زهو ، وقالت :

— سأخبرك ..

وأخذت تروى ما لديها ..

* * *

بعض الحاكم (خوان) من مقعده ، يستقبل (سونيا

جراهام) فى حرارة ، ويصافحها فى احترام بالغ ، وهو يقول :

— مرحبا ياسنيورا (نورما) ، مرحبا بك فى مكتبى

التواضع .. لقد بلغتى أنباء حادث الصيد المؤسف ، الذى

تعرضت له مع زوجك المحترم ، وأعلم أنه يعالج الآن فى

مستشفى الذكور (بابلو) ، ولقد أرسلت له باقة من الزهور ،

وأمرت بتقديم كل التسهيلات والمعاونات لكما ، و ..

قاطعته فى صرامة أدهشته :

— وماذا عن المزرعة ؟

سألها فى حيرة :

— أية مزرعة يا سنيورا ؟

اتخذت مجلسها على المقعد المقابل لمكتبه ، ووضعت إحدى

ساقها فوق الأخرى ، والتقطت من علبة سجائر سيجارة

رفيعة وردية اللون ، أسرع الحاكم يشعلها لها بقذاحة مكتبه ،

فشكرته بإيماءة جذابة من رأسها ، وألقت رأسها إلى الوراء على

نحو زائدها فتنة وإغراء ، ثم نفثت الدخان فى عمق وهدوء ،

وأدارت عينها فى بطة إلى الحاكم ، وقالت :

— أنت تعلم بالطبع أننى سيّدة بالغة الثراء .. أليس

كذلك ؟

هتف الحاكم فى حماس :

— ومن ذا الذى يجهل السيّدة (نورما كرينال) ، أشهر

سيّدة أعمال فى (أوروبا) كلها ، و ..

قاطعته :

— الواقع أنني سمنت كل هذه الأعمال .

رفع حاجيه في دهشة ، هاتفاً :

— سمنت أعمالك ؟

أشارت بسيجارها الوردية ، قائلة :

— لهذا قمت بتصفية كل أعمالى فى (أوربا) ، وحوّلت

ثروتى كلها إلى نقود سائلة ، تكفى وحدها لإقامة مؤسسة
مصرفية ضخمة .

ازدرد الحاكم لعابه ، وهو يتمم :

— بالتأكيد يا سيورا .. بالتأكيد .

تطلّعت إليه بنظرة جانبية ، وهى تقول :

— وأنا أفكر فى استثمار هذه الثروة هنا .

ارتفع حاجب (خوان) ، وهلّلت أساريره فى سعادة .

وهتف :

— نعم الاختيار يأسدنى .. نعم الاختيار .. (كيووا)

مدينة رائعة ، يمكنك إنشاء عدة أشياء فيها ، فهى ..

قاطعة فى حجم :

— ولكننى أحتاج إلى مزرعة .

بُهِت الرجل لحظة ، قبل أن يردّد فى ارتباك :

— مزرعة ؟

أجابه فى برود حاسم :

— بالطبع ، فلن يمكننى إدارة استثماراتى ، إلا وأنا أقيم فى

مكان جيّد ، مريح للأعصاب ، و ..

جاء دوره ليقاطعها هذه المرة ، وهو يقول :

— ولكن القانون هنا يحظر على الأجانب تملك ال ..

قاطعه فى صرامة :

— عجباً !! .. كيف كان (توماس موران) يتنازع المزارع

إذن .

شحب وجه الرجل ، وتضاعف ارتباكاه ، وهو يقول :

— فى الواقع .. إن مستر (موران) كان .. أعنى أنه

هناك ..

قالت (سونيا) فى حزم :

— سأخبرك أنا بالجواب يا (خوان) .

ثم مالت نحوه بحركة مباغتة ، مستطردة :

— لأن القانون يمنح حاكم المقاطعة حق استثناء أى أجنبى ،

من هذا الحظر .

ازدرد (خوان) لعابه ، وقال :

— هذا صحيح .. ولكن بالنسبة لمستر (موران) ، كان

هناك ..

لم تكن تنوى منحه فرصة للفرار أو التراجع ، لذا فقد قاطعته قائلة :

— وحسب معلوماتي ، أنت تستعد لحوض الانتخابات القادمة .. أليس كذلك ؟

بدت له العبارة أشبه بالتهديد ، فغمغم :

— سنيورا (نورما) .. القانون هنا .. عادت تقاطعه :

— والحملة الانتخابية تحتاج إلى تمويل كبير بالطبع .

صمت (خوان) تمامًا ، وقد ارتبكت الأمور في ذهنه ، فلم يعد يدرى أى جانب يتجه إليه تفكيره ، حتى أخرجت (سونيا) من حقيبتها شيكًا ، وضعت أمام عينيه ، مستطردة :
— ولقد أعددت شيكًا بترع قدره نصف مليون دولار ، من أجل حملتك الانتخابية .

برقت عيناه في طمع وشهوة ، وهو يقول :

— حقًا !

ابتسمت في خبث ، وقالت ، وهي تناوله الشيك :

— بالتأكيد .

قفزت يده لتخطف الشيك ، إلا أنها أبعدته عن يده في سرعة ، قائلة :

— هذا بالطبع مقابل استئناء بسيط .

هتف في حماس بالغ :

— ولم لا ؟

ووقع الاستئناء على الفور ..

جفف الشرطي (جوزيه) عرقه ، وهو يتلفت حوله خوفًا وقلقًا ، ثم ناول (سونيا) جواز سفر وهوية شخصية ، وهو يقول :

— كل شيء على مايرام ياسنيورا .. كما طلبت تمامًا .. إنه الآن مواطن مكسيكي رسميًا ، وكل الأوراق والأختام سليمة .
التقطت الهوية وجواز السفر ، وفتحتهما في هدوء ، وألقت نظرة على صورة (أدهم) ، ثم نقلت بصرها إلى الاسم المدون إلى جوارها ..

(أميجو صاندو) .. رجل أعمال مكسيكي ..

وعقدت (سونيا) حاجبيها ، وهي تسأل (جوزيه) في

حدة :

— ولماذا لقب (صاندو) هذا ؟

ارتبك في شدة ، وهو يقول :

— إنه مجرّد لقب .. أوّل لقب جال بخاطري .. أهناك
مشاكل بهذا الشأن ؟

تردّدت لحظة ، ثم قالت :

— لا .. لا مشاكل .

كانت تشعر بدهشة بالغة ، لأن (جوزيه) قد اختار
ل (أدهم) اسماً يبدأ مع لقبه بحرفي الألف والصاد ..

نفس حرفي اسم (أدهم صبرى) ولقبه ..

نفس الحرفين ، اللذين يهوى (أدهم) اختيارهما كبداية
لأسمائه وألقابه المستعارة ..

يا للقدر ! ..

لقد ظلّت تفكّر في هذا الأمر ، وفي تلك المصادفة العجيبة ،

حتى بلغت مستشفى الذكور (بابلو) ، وصعدت إلى حجرة (أدهم) ..

وعندما فتحت باب الحجرة ، وألقت أوّل نظرة على وجه

(أدهم) ، تلاشت كل أفكارها ، ووجدت نفسها تقول في خب :

— كيف حال بطل ؟

ابتسم في هدوء ، وهو يقول :

— كيف حالك أنت ؟

انتهت إليه ، وضمّته إليها في حب وشوق وحنان ، ثم

تطلّعت إلى وجهه ، قائلة :

— لقد انتهت كل مشاكلنا يا زوجي الحبيب .. الآن فقط

يمكننا أن نحيا في أمن وسلام .

قال في هدوء بسيط :

— المشاكل لا تنتهى أبداً يا زوجتي العزيزة .

ألقت رأسها على صدره ، وهي تقول :

— دعنا نبتعد عنها على الأقل .

داعب هو شعرها الأشقر الجميل ، دون أن يتطلّع إليها ..

كان يشعر بحيرة بالغة ، وهي بين ذراعيه ..

إنها تحبه ..

ما من شك في هذا ..

كل لمسه وكل شغّة ، وكل نبضة قلب منها تؤكّد هذا ..

إنها عاشقة ..

عاشقة من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..

لماذا يعجز عن مبادلتها هذا الحب إذن ؟ ..

لماذا يشعر دائماً أنها ليست نفس الفتاة ، التي عشقها قلبه ،

والتي تمثي الزواج منها ؟ ..

لماذا يوجد حاجز ضبابي بينهما باستمرار ؟ ..

عجز تماماً عن إجابة كل هذه الأسئلة ، فاكفى عقله

بالاستسلام لواقعه ..

ولحياته الجديدة ..

وفي أعماقه ظلّ هذا الصراع دائراً ..

صراع الذكريات ..

والبحث عن الذات ..

زَان الصمت تمامًا ، في حجرة مكتب (منى) ، وبقي
(أدهم) يتطلع عبر النافذة في صمت ، في حين تبادل
(سونيا) و (منى) نظرات باردة مفعمة بالعداء ، حتى قالت
(سونيا) في هدوء الظافر :

— وعشنا أنا و (أدهم) عامًا كاملاً تقريباً ، في مزرعة
رائعة ، امتلك (أدهم) فيها عددًا من الجياد العربية الأصيلة ،
وزرع مساحات شاسعة من الأرز وال ..
قاطعها (منى) هاتفة :

— (أدهم) ؟ .. مستحيل ! .. لا يمكنني أن أصدق أبدًا
أن يقضى رجل مثل (أدهم) عامًا كاملاً ، مكتفياً بتربية الخيل
والزراعة ! .. مستحيل !!

قال (أدهم) في مرارة ، دون أن يلتفت إليها :
— لم أشعر أبدًا أن هذا هو نوع الحياة ، الذي يناسبني .
أومات (سونيا) برأسها موافقة ، وقالت :

— هذا صحيح .. لقد بدا أشبه بليث خيس ، طوال ذلك
العام ، وكثيرًا ما كان يمتطي جواده المفضل ، فينطلق به إلى

النهر ، ويجلس هناك صامتًا ، لساعات طوال ، وكأنما يبتش
ذاكرته ، محاولًا استعادة تفاصيل حياته .

التفت (منى) إلى (أدهم) ، تسأله في اهتمام :
— هذا السؤال يشغلني بالفعل ، منذ البداية
يا (أدهم) .. كيف استعدت ذاكرتك ؟ .. أهى صدمة
رجعية ؟

هز رأسه نفيًا ، وقال :
— لا .. هذا يحدث في الأفلام السينمائية فحسب .
سألته باهتمام أكبر :

— كيف استعدتها إذن ؟
صمت لحظات ، قبل أن يجيب باقتضاب :
— تدريجيًا .

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الجواب المقتضب ، إلا أنه لم
يلبث أن تابع في هدوء :

— لقد عادت الذاكرة على هيئة أحلام .. مشاهد متفرقة ،
تراود أحلامي ، وتهاجم نومي ، وعشرات الوجوه والأسماء
تقفز إلى ذهني في لحظات السبات ، وتتداخل فيه مع يقظتي .
صمت لحظة أخرى ، ثم واصل :
— حتى تذكرت وجهك واسمك يا (منى) .

لم يدرك كم فجر من ينابيع السعادة في أعماقها ، وهي تهتف :

— أنا !؟

أوماً برأسه إيماناً ، وقال :

— نعم .. أنت يا (منى) .. كان وجهك هو أوّل وجه
استقرّ في ذهني ، ثم اقترن باسمك ، وبعدها بدأ كل شيء يعود
في سرعة .. تذكرت شقيقي (أحمد) .. ثم (قدرى) .. بدأ
شريط حياتي كله يعبر أمامي .
سألته :

— وهل أخبرت (سونيا) عندئذ ؟

هزّ رأسه نفيّاً ، وقال :

— لا .. لم أخبرها ، بل أخذت أستعيد ذكرياتي في هدوء ،
محاولاً أن أملاً قبضتي بها أولاً ، وأدركت كيف خدعتني
(سونيا) ، وكيف أفتعنتي بالزواج منها ، وأنا أظنها أنت ،
ولقد أحتقنت هذا الموقف ، وأدهشني في الوقت نفسه ، فقد
كانت (سونيا) التي نحيا معي ، شخصية تختلف تمام الاختلاف
عن (سونيا) التي عرفتها قديماً .

صمت لحظة ، عاد خلالها يتطلّع عبر النافذة ، مستطرذاً :

— كانت (سونيا) ، التي أحيا معها سيّدة رقيقة ، حنوناً ،

تغمرني بحبها ورعايتها طيلة الوقت .



صمت لحظة ، عاد خلالها يتطلّع عبر النافذة ، مستطرذاً :
— كانت (سونيا) التي أحيا معها سيّدة رقيقة ، حنوناً ..

غمغمت (منى) فى دهشة :

— (سونيا) ؟

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وقالت فى حزم :

— (سونيا) الحجة العاشقة ، تختلف حقاً عن العدو .

التفت إليها (منى) ، وقالت فى حدة :

— ولكنك فى الحالتين (سونيا) اغتادعة ، التى لا تتورع

عن ارتكاب أى أمر ، فى سبيل بلوغ غايتها .

قالت (سونيا) فى شراسة :

— لقد أحيت (أدهم) ، ولم أفعل ما أفعل إلا من أجله .

والنفت إلى (أدهم) فى حدة ، مستردة :

— حتى بعد أن علمت أنه قد استعاد ذاكرته ، ظللت له نعم

الزوجة .

استدار إليها (أدهم) ، يتطلع إليها لحظات فى صمت

واهتمام ، قبل أن يسأها :

— ومتى علمت أننى قد استعدت ذاكرتى ؟

أجابته فى خنوع :

— بعد يوم واحد من استعادتك إياها .

بدت الدهشة على وجهه ، وهو يسأها :

— كيف ؟

خفضت عينها بحجة :

— صلاحك أنأتى .

بدا الفهم على وجهه ، فى حين استطردت هى :

— منذ التقينا ، ومنذ حاولت إقناعك أنك (موسى

دزرائيل) ، لم تقتنع أبداً ، ولم تحاول حتى أداء الشعائر الدينية

اليهودية ، ولم تظهر حتى أدلى اهتمام بها ، بل لقد تجاهلت

الطائفة اليهودية تماماً ، وانشغلت عنها بحبادك وزراعك .. ثم

فجأة أصبحت أهدأ نفساً ، ورحمت تختل بنفسك خمس مرات

يومياً ، فراقبتك خلصة ، ورأيتك يوماً تصلى عند الفجر فى

خشوع ، وعندئذ عرفت أنك قد استعدت ذاكرتك ، وأنت

قد علمت من أنت ، وإلى أية جهة تنتمى .

استمعت إليها (منى) فى دهشة ، ثم تمتمت :

— أهذا معقول ؟ .. أنت (سونيا) التى نعرفها ؟

لو أنها كانت تشعر بالدهشة قيراطاً ، عندما بدأت ذلك

القول ، فقد أصبحت دهشتها هذه آلاف الأقدنة ، عندما رأت

تلك الدمعة ، التى تفرقت فى عيني (سونيا) ، وهى تقول :

— صدقيني يا (منى) .. حى لـ (أدهم) أبذل مشاعرى

كلها .. لقد أحبته حباً يعجز حتى (شكسبير) نفسه عن

وصفه .. أتعلمين ما الشئ الوحيد الذى خشيته ، عندما

استعاد ذاكرته ؟ .. إنه أنت ! .. لقد خشيت أن يبرع إليك ،
وأن يستيقظ حبك في قلبه .. وهذا ما حدث .

التفتت (منى) إلى (أدهم) ، وقالت في لهفة وشوق :
— حقاً ؟

أجابها (أدهم) في صدق :

— هذا صحيح يا (منى) .. لم أكد أستعيد وعي ، حتى
تفجّر شوق إليك ، والتهمت لهفتي لرؤيتك ، ولم تكد الأمور
تستقر ، حتى استقلت أول طائرة ، وهرعت إلى هنا ،
لرؤيتك .

وحملت كلماته كل حبه وشوقه وحنانه ، وهو يستطرد :
— لرؤيتك فقط .

أعادت إليها كلماته الأمل ..

كل الأمل ..

إذن فقد عاد من أجلها ..

لقد ترك (سونيا) وعالمها كله ، وهرع إليها ..

إنها ما زالت حبه الوحيد إذن ..

ما زالت المرأة الوحيدة ، التي يتمناها زوجة ..

وبكل الأمل ، الذي انتعش في قلبها ، التفتت إلى

(سونيا) ، هاتفة :

— إنك تدفعين الثمن يا (سونيا) .

رفعت (سونيا) حاجبها في دهشة ، وهي تقول :

— الثمن ؟! .. أى ثمن ؟

صاحت (منى) في وجهها :

— ثمن الخداع .. ثمن الكذب والغش .. لقد أقنعت

(أدهم) بالزواج منك ، ولكن حتى هذا الزواج لا يعدّ شرعياً

أو قانونياً .. لقد خسرت اللعبة كلها يا (سونيا) .

استعادت (سونيا) ابتسامتها الساخرة في سرعة ، وهي

تقول :

— خسرت ؟ .. لا يا عزيزتى .. لم يعد هناك مجال

للخسارة ، إلا بالنسبة إليك .

ثم التفتت إلى (أدهم) تسأله :

— ألم تخبرها بعد ؟

أجابها في ضيق :

— لا .. ليس بعد .

انقبض قلب (منى) في خوف ، وهي تقول :

— ما الذى لم تخبرنى به بعد يا (أدهم) ؟

هتفت (سونيا) في شماعة :

— لم يعد انفصالى عن (أدهم) سهلاً يا عزيزتى .. لقد

منحته ما لم تمنحني إياه .

شحب وجه (منى) ، وهى تقول :

— ما الذى تعبه هذه الأفعى يا (أدهم) ؟

التقط (أدهم) صورة ضوئية صغيرة من جيه ، وناولها

إياها ، قائلاً :

— إنها تعنى هذا يا (منى) .

تطلعت (منى) فى ذهول إلى الصورة ، التى تحمل وجه

طفل رضيع ، فى الشهر الثانى من عمره على الأكثر ، وهوى

قلبا بين قدميها ، وهى تنظر إلى عينيه وشفتيه ، حتى لقد كان

الجواب — بالنسبة إليها — واضحاً ، قبل أن يقول

(أدهم) :

— إنه ابنى يا (منى) .

نسفت عبارته أملها نسفاً ، وانتشرت شظاياها فى قلبها

وعقلها وأعماقها ، فبلدت كل مشاعرها ، وهو يستطرد فى

مرارة :

— ابنى من (سونيا جراهام) .. صحيح أننى لم أتصور ،

ولم أتمنى أبداً أن يحدث هذا ، ولكنه حدث .. ومن الضرورى

أن أسعى ، ليقبلى ابنى وبخيا بين والديه .. خاصة وقد تغيرت

(سونيا) بعض الشيء ، ومن الممكن أن تصبح أمماً طيبة .

أمسكت (سونيا) يده ، وهتفت فى حرارة :

— أعدك أن أفعل يا (أدهم) .. أقسم لك أن أحاول ..

من أجلك .. ومن أجل ابنتنا .

التفت هو إلى (منى) ، وحملت عيناه كل انفعاله

ومشاعره ، وهو يقول :

— لقد انتهى الأمر بالنسبة إلى يا (منى) .. لا يمكننى حتى

أن أعود إلى صفوف اخبارات المصرية .. احتفظى بخبر عودتى

سراً ، واذكرى دائماً أننى قد عدت يوماً من أجلك .

وفى عمق وحزن ، أضاف :

— الوداع يا (منى) .. وداعاً لكل شيء .

لم تغادر مقعدها ، وهو ينصرف مع (سونيا) ..

لم تبس حتى بينت شفة ..

إنها لم تعد أبداً كما كانت ..

لقد ضاع أملها وحلمها وقلبا ..

ضاع منها ذلك ، الذى أحبه بكل مشاعرها ، وما زالت

تحمّل له كل الحب ، حتى بعد كل ما عرفته ..

ضاع الرجل ..

رجل المستحيل ..

[تمت بمحمد الله]



د. نيل فاروق

جزيرة الجحيم

- ما المصير الذي يعده (هنتر) لـ (أدهم صبرى) في أحراش (تيورور)؟
- هل تنجح (سونيا جراهام) في اقتحام (تيورور)، والانضمام إلى (أدهم)؟
- تُرى من يربح لعبة الصيد البشرية هذه (سكوريون)، أم (رجل المستحيل)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاهرة
بالأحداث
المثيرة

٨٤

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم



العدد القادم: لمسة الشر